(٢٢)

انقاذ البشر من الجبر والقدر

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ[1] رسالتنا هذه بالحمدلله ربنا على نعمه الواصلة [منه] [2] الينا ، وعلى احسانه المتقدم علينا[3]، اذ أصبحنا[4] بتوحيده وعدله قائمين ولمن جوّره في حكمه عائبين ، ولمعاصينا عليه غير حاملين ، وبآثار أئمة الهدى مقتدين ، وبالمحكم من كتابه وآياته متمسكين .

فالحمد لله الذي اختصنا بهذه النعمة ، وشرفنا بهذه الفضيلة ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، ورسول رب العالمين، الذي جعله رحمة للعباد أجمعين واستنقذ به من الهلكة ، وهدى به من الضلالة ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، فبلغ عن ربه ، واجتهد في طاعته ، حتى أتاه اليقين ، وعلى آله الطاهرين .

سألت أعزك الله وأرشدك املاء رسالة في القدر فقد جالت به الفكر وأكثرها

---

١) في أ : نبتدىء .

٢) الزيادة من أ .

٣) في أ : الينا .

٤) في مط : اذا أصبحنا .

عن معرفته قـد انحسر ، وذكرت أن الذي حداك الى ذلك ماوجدته ظاهراً في عوام النيل[1] ومعظم خواصها من القول المؤدي الى الكفر المحض بسبب الجبر وتجويرهم الله في حكمه ، وحملهم معاصيهم عليه [2] ، واضافتهم القبائح اليه ، وتعلقهم بأخبار مجهولة منكرة اومتشابهة في اللفظ مجملة، وحجاجهم بما تشابه من الكتاب لعدم معرفتهم بفائدته ، وقصور أفهامهم عن [الغرض][3] المقصود به.

واعلم أن الكلام في القضاء والقدر قدأعيى أكثر أهل النظر، واتعب ذوي الفكر ، والمتكلم فيـه بغير علم على غاية [من] [4] الخطر. والذي يجب على من أراد معرفة هذا[5] الباب ـ وهو[6] العلم بما يستحق الباري سبحانه من الاوصاف الحميدة وماينفى عنه من ضدها ـ فانه متى علم ذلك أمن من أن يضيف اليه ماليس من أوصافه أوينفي عنه ماهو منها ويتبع ذلك من الابواب مالابد من الوقوف عليه : نحو المعرفة بأقوال المبطلين ، ومعرفة أقوال المحقين ، وغير ذلك مما سنبينه فيما بعد انشاء الله تعالى .

[حدوث البحث فى أفعال العباد][7]

واعلم ان أول حالة ظهر فيها الكلام وشاع بين الناس في هذه الشريعة ،

---

١) النيل يطلق على عدة أمكنة لانعلم أيها قصد السائل : « أحدها » بليدة فى سواد الكوفة قرب حلة بنى مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير ، «ثانيها» نهرمن انهار الرقة حفره الرشيد على ضفة نيل الرقة ، « ثالثها » نيل مصر وهـو النهر المشهور (معجم البلدان : ٥/٣٣٤) .

٢) فى أ : وحمله معاصيه عليه .

٣ـ٤) الزيادة من أ .

٥) فى مط : معرفة فى هذا .

٦) فى مط : هو .

٧) الزيادة من مط .

هـو أن جماعة ظهر منهم القول باضافة معاصي العباد الى الله سبحانه ، وكان الحسن ابن أبيالحسن[1] البصري[2] ممن نفى ذلك، ووافقه في زمانه [جماعة و][3] خلق كثير من العلماء كلهم ينكرون أن تكون معاصي العباد من الله ، منهم معبد الجهني[4] وأبو الاسود الدؤلي[5] ومطرف بن عبدالله[6] ووهب بن منبه[7] وقتادة[8] .

---

١) في مط : أبي الحسين .

٢) أبوسعيد الحسن بن أبي الحسن يسارالبصرى ، مولى زيد بن ثابت الانصارى ، كان الحسن احد الزهاد الثمانية، وكان يلقى الناس بما يهوون ويتصنع للرئاسة، وكان رئيس القدرية ، ولد سنة ٨٩ وتوفى في رجب سنة ١١٠ هـ (الكنى والالقاب : ٢/ ٧٤) .

٣) الزيادة من أ .

٤) معبد بن عبدالله بن عويم الجهنى البصرى ، أول مـن قال بالقدر في البصرة ، وحضر يوم التحكيم وانتقلمن البصرة الى المدينة فنشرفيها مذهبه ، خرج مع ابن الاشعث على الحجاج فجرح فأقام بمكة ، فقتله الحجاج بعد أن عذبه ، وقيـل صلبه عبدالملك بن مروان بدمشق ، وذلك فى سنة ٨٠ هـ (الاعلام للزركلى : ٨/١٧٧) .

٥) اسمه ظالم بن عمرو أوظالم بـن ظالم ،كان من السادات التابعين وأعيانهم ومن شعراء الأسلام الفضلاء الفصحاء ، ابتكر النحـو باشارة اميرالمؤمنين عليه السلام ، توفى بالطاعون الجارف فى البصرة سنة ٦٩ هـ (الكنى والالقاب : ١/ ٧-١٠) .

٦) أبوعبدالله مطرف بن عبدالله بن الشخير بنعوف بن كعب الحريشيكان منمشاهير الزهاد ، مات سنة ٨٧ أو ٩٥ هـ (وفيات الاعيان : ٤/ ٢٩٩) .

٧) ابوعبدالله وهب بن منبه الصنعانى ،كان على قضاء صنعاء ، وكتب كتاباً فى القدر ثم ندم، وكان كثيرالنقل منكتب الاسرائيليات، ولد فى آخر خلافة عثمان وتوفىسنة ١١٤هـ (ميزان الاعتدال : ٤/ ٣٥٢) .

٨) ابوالخطاب قتادة بن دعامة السدوسى ،كان ذاعلم فى القرآن والحديث والفقه، وكان يقول بشيء منالقدر ثم رجع عنه ، وقال : مانسيت شيئاً قط . ثم قال : يا غلام ناولنى نعلى، قال : نعلك فى رجلك، مات بالبصرة سنة ١١٧هـ (معجم الادباء : ١٧/ ٩-١٠) .

وعمرو بن دينار [١] ومكحول الشامي [٢] وغيلان [٣] وجماعة كثيرة لا تحصى [٤] .

ولم يك ما وقع من الخلاف حينئذ يتجاوز بـاب اضافة [5] معاصي العباد الى الله سبحانه عن ذلك ونفيها عنه وغيره من هذا الباب بباب [٦] القدرة والمقدور وما أشبهه [٧] .

[الاقوال في كيفية خلق الافعال] [٨]

فأما الكلام في خلق افاعيل العباد [و] [٩] في الاستطاعة وفيما اتصل بذلك وشاكله فانما حدث بعد دهر [طويل] [١٠] .

---

١) ابو يحيى عمرو بن دينار البصري ، مولى آل الزبير بن شعيب ، قال احمد ضعيف وقال البخاري فيه نظر ، وقال ابن معين ذاهب، وقال مرة ليس بشيء، وقال النسائي ضعيف (ميزان الاعتدال : ٣/٢٥٩) .

٢) مكحول الدمشقي : مفتي أهل دمشق وعالمهم، هو صاحب تدليس ورمي بالقدر، وكان يقول : ما استودعت صدري شيئاً الا وجدته حين أريد ، مات سنة ١١٣ هـ (ميزان الاعتدال : ٤/١٧٧) .

٣) أبو الحارث ذو الرمة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود ، أحد فحول الشعراء ، قيل : فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذي الرمة ، مات سنة ١١٧ هـ (الكنى والالقاب : ٢/٢٢٧) .

٤) في أ : لاتخفى .

٥) في أ : صفات [اضافة ظ] ، وفي مط : صفات [اضافة] .

٦) في مط : بيان ، وفي أ : بيان [بباب ظ] .

٧) في أ : القدر وما اشبهه .

٨) الزيادة من مط .

٩) الزيادة من أ .

١٠) الزيادة من مط .

ويقال : ان اول من حفظ عنه القول بخلق افاعيل العباد جهم بن صفوان[1]، فانه زعم أن مايكون في العبد من كفر وايمان ومعصية فالله فاعله كمافعل لونه وسمعه وبصره وحياته ، وانه لافعل للعبد في شيء من ذلك ولاصنع ، والله تعالى صانعه ، وان لله تعالى أن يعذبه من ذلك على مايشاء ويثيبه على مايشاء .

وحكى عنه علماء التوحيد انه كان يقول مع ذلك : ان الله خلق في العبد قوة بها كان فعله ،كما خلق له غذاء يكون به قوام بدنه،ولايجعل العبد كيف تصرف[2] حاله فاعلا لشيء على حقيقته[3] ، فاستبشع من قوله أهل العدل وأنكروه مع أشياء أخر حكيت عنه .

ولما أحدث جهم القول بخلق أفعال العباد قبل ذلك ضرار بن عمرو[4] بعد أن كان [ضرار][5] يقول بالعدل ، فانتفت عنه المعتزلة واطرحته ، فخلط عند ذلك تخليطاً كثيراً،وقال بمذاهب خالف فيها جميع أهل العلم وخرج عما كان عليه واصل بن عطاء[6] وعمرو بن عبيد[7] بعد ما كان يعتقد فيهما من العلم وصحة الرأي

---

١) أبومحرز جهم بن صفوان السمرقندى ، رأس الجهمية ، وقد زرع شراً عظيماً ، كان يقضى فى عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان ، فقبض عليه نصر بن سيار وأمر بقتله فقتل سنة ١٢٨ هـ (الاعلام للزركلى : ٢/ ١٣٨) .

٢) فى مط :يصرف .

٣) فى مط :على حقيقة .

٤) ضرار بن عمرو القاضى ، معتزلى جلد ، له مقالات خبيثة . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبدالرحمن القاضى فأمر بضرب عنقه فهرب (ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٨) .

٥) الزيادة من أ .

٦) واصل بن عطاء البصرى الغزال المتكلم ، كان يلثغ بالراء فلبلاغته هجر الراء وتجنبها فى خطابه ، وكان يتوقف فى عدالة اهل الجمل ويقول : احدى الطائفتين فسقت لابعينها ، فلو شهدت عندى عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم احكم بشهادتهم . ولد سنة ٨٠ بالمدينة ومات سنة ١٣١ هـ (ميزان الاعتدال : ٤/ ٣٢٩) .

٧) ابوعثمان عمرو بن عبيد بن باب التيمى البصرى، شيخ المعتزلة فى عصره ومفتيها

لانه كان في الاول على رأيهما بل صحبهما وأخذ عنهما .

ثم تكلم الناس بعد ذلك في الاستطاعة ، فيقال : ان أول من أظهر القول بـأن الاستطاعة مـع الفعل يوسف السمتي[1] وانه استزله الى ذلك بعض الزنادقة فقبله عنه، ثم قال بذلك حسين النجار[2] ، وانتصر لهذا القول ووضع فيه الكتب فصارت مذاهب المجبرة بعد ذلك على ثلاثة أقاويل :

«احدها» ـ ان الله تعالى خلق فعل البعد وليس للعبد في ذلك فعل ولاصنع وانما يضاف اليه أنه[3] فعله كما يضاف اليه لونه وحياته ، وهو قول جهم .

« والثاني » ـ ان الله تعالى خلق فعـل العبد وأن العبد فعله باستطاعة[4] في العبد متقدمة ، وهو قول ضرار ومن وافقه .

« والثالث » ـ ان الله تعالى خلق فعل العبد وان العبد فعله باستطاعة حدثت له في حال الفعل لايجوز أن تتقدم الفعل، وهو قول النجار وبشر المريسي[5] ومحمد

كان جده من سبى فارس وأبوه نساجاً ثم شرطياً للحجاج فى البصرة ، وقال يحيى بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون انما الناس مثل الزرع ، ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٤٤ هـ (الاعلام للزركلى : ٢٥٢/٥) .

١) يوسف بن خالد السمتى الفقيه ، قال ابوحاتم : رأيت له كتاباً وضعه فى التهجم ينكر فيه الميزان والقيامة ، مات فى رجب سنة ١٨٩ هـ (ميزان الاعتدال : ٤٦٣/٥) .

أقول : كذا ورد « السمتى » فى ميزان الاعتدال ، وفى أ ومط : السمنى .

٢) ابو عبدالله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار الرازى ، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة ، وهومن متكلمى المجبرة، وله مع النظام عدة مناظرات، توفى نحوسنة ٢٢٠هـ (الاعلام للزركلى : ٢٧٦/٢) .

٣) فى مط : لانه .

٤) فى أ : استطاعة .

٥) ابو عبدالرحمن بشر بن غياث بن أبـى كريمى المريسى الفقيه الحنفى ، اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكي عنـه فى ذلك اقوال شنيعة ، وكان مرجئاً واليه

ابن غوث ، ويحيى بن كامل[1] وغيرهم ، من متكمي المجبرة [وعند هذا أكثر متكلمي المجبرة][2] نحو الاشاعرة وغيرهم .

ثـم تكلم الناس بعد ذلك فيما اتصل بهذا مـن أبواب الكلام في العدل واختلفوا فيـه اختلافاً كثيراً ، والكلام في ذلك [مـن] [3] أوسع ابواب العلم [وجوهاً وأعمقها بحراً] [3] ، ونحن نورد لك في هذا المعنى ما يتحصل بـه الغرض ، وتنحسم به شبه [4] الخصوم ونجعله ملخصاً وجيزاً بلفظ مهذب والى الفهم مقرب ، ونبتدىء[5] في أولـه بوصف دعوة أهل الحق في ذلك ونردفها [6] بما يجب، وقد وسمنا هذه الرسالة بـ (انقاذ البشرمن الجبر والقدر) وها نحن مبتدئون بذلك ومستعينون بمن له الحول والقوة، وهو حسبنا ونعم الوكيل[7] .

تنسب الطائفة المريسية ، توفى ببغداد سنة ٢١٨ وقيل سنـة ٢١٩ هـ (وفيـات الاعيان: ٢٥١/١) .

وجاء بدلا عن المريسى فى أ : مرسي .

١) ابوعلى يحيى بن كامل بن طليحة الخدرى ، كان أولا من اصحاب بشر المريسى ومن المرجئة ثم انتقل الى مذهب الاباضية . له كتب منها كتاب التوحيد والرد على الغلاة (هامش مط : ٣١) .

٢) الزيادة من أ .

٣) الزيادة من أ .

٤) فى أ : وينحسم به شعب .

٥) فى أ : وأبتدىء .

٦) فى أ : وأردفها .

٧) زاد فى مط بعد هذا عنواناً هكذا « دعوة أهل الحق » .

(فصـل)

فى دعوة أهل الحق وبيانها

قالت عصبة أهل الحق : ان الله [1] جل ثناؤه اصطفى الاسلام ديناً ورضيه لعباده واختاره لخلقه ، ولم يجعله موكولا الى رأيهم ، ولا جارياً على مقادير أهوائهم ، دون أن نصب له الادلة ، وأقام عليه البراهين ، وأرسل به الرسل ، وأنزل به الكتب ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة .

وللاسلام حدود ، وللقيام به حقوق ، وليس كل من ادعى ذلك أخذه [2] ، ولا كل من انتسب اليه صار من أهله ، وقد علمنا أن أهل القبلة [قد] [3] اختلفوا في أمور صاروا فيها الى خلل، فضلل بعضهم بعضاً [4] وكفر بعضهم بعضاً، وكل يدعي أن ما ذهب اليه من ذلك وانتحله هو دين الله ودين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومعلوم عند كل عاقل أن ذلك كله على اختلافه لايجوز أن يكون حقاً لتضاده واختلافه ، ولابد حينئذ من اعتبار ذلك وتمييزه ليتبع منه الحق ، ويجتنب منه الباطل، وقد علمنا بالادلة الواضحة ، والبراهين الصحيحة ـ التي يوافقنا عليها جميع فرق أهل الملة ـ بطلان [5] قول كل من خالف جملة الاسلام ماجاء بـه القرآن وصح عن الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم ، فاذا كان الامر كذلك

---

١) فى مط : وان .

٢) فى أ : أحزم .

٣) الزيادة من أ .

٤) فى أ : فى أمور صاروا فيها الى أن ضلل بعضهم بعضاً .

٥) فى مط : وقد علمناه . . . وأبطل .

وجب [1] أن يكون كل من قال من الامة قولا يكون عند الاعتبار والنظر خارجاً مما يوجبه الاسلام ويشهد به الرسول (ص) والقرآن [أو] [2] موجباً لان يكون معتقده ليس من جملة الاسلام على سبيل قوة واستبصار، لقوله بما لايصح اعتقاده الاسلام معه ولا يوصل الى معرفته ثم القول [3] بـه ، فهو محجوج في مذهبه ، ومبطل في قوله ، ومبتدع في الاسلام بدعـة ليست مـن دين الله ولا من دين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

قالوا : وقد تدبرنا ما اختلف فيه اهـل القبلة بفطرة [4] عقولنا وعرضنا ذلك على كتاب الله سبحانه وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فوجدنا الحق بذلك متميزاً من الباطل تمييزاً يدركه كل من تدبر الكتاب والسنة بفكره ، وتميز الامور بعقله ، ولم يجعل هواه قائداً لـه ، و [لم] يقلد [5] من لاحجة في تقليده ، فرأينا من الواجب علينا في الدين أن نبين امر [6] ذلك للناس ولانكتمه ، وأن ندعوهم الى الحق ونحتج له ولا نتشاغل عن ذلك ونعرض عنه ، ونحن نرى ماحدث من البدع ، وخولف من سبيل السلف .

وكيف يجوز الاعراض عن ذلـك والله تعالى يقول : « ولتكن منكم أمـة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عـن المنكر وأولئك هـم المفلحون» [7] ويقول : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى

---

١) في أ : فواجب .
٢) الزيادة من أ .
٣) في مط : نعم القول .
٤) في أ : بفطر .
٥) في مط : [لا] تقليد .
٦) في أ : أمور .
٧) سورة آل عمران : ١٠٤ .

ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون »[1] .

قالوا : وأي منكر أفحش ، وأي معصية أعظم من تشبيه الله تعالى بخلقه ، ومن تجويره في حكمه ، ومن سوء الثناء عليه واضافة الفواحش والقبائح اليه وكيف لايكون كذلك وفي القول بالتشبيه والاجبار الانخلاع عن معرفة الله تعالى ومعرفة جميع رسله ، اذ كل من شبه الله بشيء من خلقه لم يتهيأ له أن يثبت الله قديماً وقد أثبت له مثلا محدثاً، وفي ذلك عدم العلم بالصنع والصانع والرسول والمرسل ، وان من أجاز على الله جل وعلا فعل الظلم والكذب وارادة الفواحش والقبائح لم يمكنه أن يثبت لرسول من رسل الله تعالى معجزة أقامها الله تعالى لهداية الخلق دون اضلالهم ولرشدهم دون اغوائهم [2] ، وفي ذلك سقوط العلم بصدق الرسل فيما دعت اليه ، وذلك يوجب أن لايكون معتقداً ، ولا لازم الاخبار عن ثقة ويقين[3] من صدق الرسل ، ولاصحة الكتب ، ولاكون الجنة والنار، وهذا هو الخروج من دين الاسلام ،والانخلاع عن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قالوا: ونحن نصف قولنا ونذكر دعوتنا فليتدبر ذلك السامع منا، وليقابل[4] به قول غيرنا ، فانه سيعلم ـ ان كان له قلب أوالقى السمع وهو شهيد ـ أينا أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ، وأولى بالتمسك بالكتاب والسنة ، واتباع الحجة ، ومجانبة البدعة .

---

١) سورة المائدة : ٧٨و٧٩ .

٢) في مط : ولا لرشدهم دون اغوائهم .

٣) في مط : ولالازم الاجبارعلى [الاجبار عن خ] ثقة وتيقن . وفي أ : ولا لازم الاجبار على ثقة ويقين .

٤) في مط : وليتأمل .

فأول ذلك أن نقول :ان الله ربنا ، ومحمد[1] نبينا، والاسلام ديننا، والقرآن امامنا ، والكعبة قبلتنا ، والمسلمون اخواننا ، والعترة الطاهرة مـن آل رسول الله (ص) وصحابته والتابعين لهم باحسان سلفنا وقادتنا ، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا وأولياؤنا، نحب من أحب الله، ونبغض من أبغض الله، ونوالي من والى الله ، ونعادي من عادى الله، ونقول فيما اختلف فيه أهل القبلة بأصول نشرحها ونبينها : فأولها توحيدنا لربنا ، فانا نشهد أن الله عزوجل واحد ليس كمثله شيء، وانه الاول قبل كل شيء ، والباقي بعد فناء كل شيء ، والعالم الذي لايخفى عليه شيء، والقادر الذي لايعجزه شيء، وانه الحي الذي لايموت والقيوم الذي لايبيد ، والقديم الذي لـم يزل ولايزال ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، عالماً ، قـادراً ، غنياً ، غير محتاج الى مكان ولازمان ولا اسم ولا صفة ولاشيء من الاشياء على وجه من الوجوه ولامعنى من المعاني ، قـد سبق الاشياء كلها بنفسه ، واستغنى عنها بذاته ، ولاقديم الا [هـو] [2] وحـده سبحانه وتعالى عن صفات المحدثين ، ومعاني المخلوقين ، وجل وتقدس عن الحدود والاقطار ، والجوارح والاعضاء، وعن مشابهة شيء من الاشياء أومجانسة جنس من الاجناس أومماثلة شخص مـن الاشخاص، وهو الاله الواحد الذي لاتحيط به العقول ، ولا تتصوره الاوهام ، ولا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ، الذي يعلم مايكون ، ويعلم ماكان وما سيكون وما لايكون لو كان كيف كان يكون ، قد أحاط بكل شيء علماً ، واحصى كـل شيء عدداً ، وعلم الاشياء كلها بنفسه من غيرعلم أحدثه ، ومن غير معين كان معه، بل علم ذلك كله بذاته التي لم يزل بها قادراً عالماً حياً سميعاً بصيراً ، لانه الواحد الذي لم يزل قبل

---

١) فى أ : ومحمداً .

٢) الزيادة من أ .

الاشياء كلها ثم خلق الخلق من غير فقر ولا حاجة، ولاضعف ولااستعانة، من غير أن يلحقه لحدوث ذلك تغير، أويمسه لغوب، أوينتقل به الى مكان، اويزول به عن مكان، اذ كان جل شأنه لم يزل موجوداً قبل كل مكان، ثم حدثت الاماكن وهو على ماكان فليس يحويه مكان، وقد استوى على العرش بالاستيلاء والملك والقدرة والسلطان وهـو مع ذلك بكل مكان الـه عالم، مدبر، قاهر، سبحانه وتعالى عما وصفه به الجاهلون، من الصفات التي لاتجوز الا على الاجسام من الصعود والهبوط ومن القيام والقعود، ومن تصويرهم له جسداً، واعتقادهم اياه مشبهاً [للعباد][1] يدركونه بأبصارهم، ويرونه بعيونهم، ثم يصفونه بالنواجذ والاضراس، والاصابع، والاطراف، وانه[2] في صورة شاب أمرد وشعره جعد قطط، وانه لايعلم الاشياء بنفسه، ولايقدر عليها بذاته، ولايوصف بالقدرة على أن يتكلم ولايكلم احداً من عباده، فتعالى الله عما قالوا، وسبحانه عما وصفوا، بل هو الاله الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، العليم القدير، الذي كلم موسى تكليماً، وأنزل القرآن تنزيلا، وجعله ذكراً محدثاً من احسن الحديث، وقرآناً عربياً من أحسن[4] الكلام، وكتاباً عزيزاً من أفضل الكتب، أنزل بعضه قبل بعض، وأحدث بعضه بعد بعض، وأنزل التوراة والانجيل من قبل، وكل ذلك محدث كائن بعد أن لم يكن، والله قدير قبله لم يزل، وهو رب القرآن وصانعه وفاعله ومدبره، ورب كل كتاب أنزله، وفاعل كل كلام كلم به أحداً من عباده، والقرآن كلام الله ووحيه، وتنزيله الذي أحدثه لرسوله وجعله هدى

---

١) الزيادة من أ .

٢) فى أ : وما به .

٣) فى أ : من أبين .

وسمى نفسه فيه بالاسماء الحسنى ، ووصفها فيه بالصفات المثلى ليسميه بهـا [١] العباد ، ويصفوه بها ويسبحوه ويقدسوه [٢] ولااله الا الله وحده ، ولاقديم الا الله دونغيره من كلاسم وصفة ومن كل كلام وكتاب، ومن كل شيء جاز أن يذكره ذاكر ، اويخطره على باله مفكر . هذا قولنا في توحيد ربنا .

[دعوة أهل الحق فى العدل] [٣]

فأما قولنا في عدله ـ وهو المقصود من هذا الكتاب وانما أوردنا معه غيره لانا أردنا ايرادجملة الاعتقاد ـ فانانشهد أنه العدل الذيلايجور، والحكيمالذي لايظلم ولايظلم[٤]، وانه لايكلف عباده مالايطيقون ، ولايأمرهم بما لايستطيعون ، ولايتعبدهم بما ليس لهم اليه سبيل ، لانـه أحكم الحاكمين ، وأرحم الرحمين الذي امرنا بالطاعة، وقدم الاستطاعة، وأزاح العلة، ونصب الادلة ، وأقام الحجة وأراد اليسر ولم يرد العسر ، فلا يكلف نفساً الا وسعها ، ولا يحملها ماليس من طاقتها، ولاتزر وازرة وزر أخرى ، ولايؤاخذ أحداً بذنب غيره ، ولايعذبه على ماليس من فعله ، ولايطالبه بغير جنايته وكسبه ، ولا يلومه على ماخلقه فيه ، ولا يستبطئه فيما لم يقدره عليه ، ولايعاقبه الاباستحقاقه ، ولايعذبه الابما جناه على نفسه ، وأقام الحجة عليه فيـه ، المنزه عن القبائح ، والمبرأ عـن الفواحش ، والمتعالى عن فعل الظلم والعدوان ، وعن خلق[٥] الزور والبهتان الذي لايحب

---

١) فى أ : ليسميه به .
٢) أ : ويصفونه ويسبحونه ويقدسونه .
٣) العنوان من مط .
٤) فى أ : وانه لايظلم .
٥) فى هامش أ : قول ـ ظ .

الفساد ، ولايريد ظلماً للعباد ، ولايأمر بالفحشاء ، ولا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ، وكل فعله حسن، وكل صنعه جيد وكل تدبيره حكمة .

سبحانه وتعالى عما وصفه به القدرية المجبرة المفترون الذين أضافوا اليه القبائح ، ونسبوه الي فعل [1] الفواحش ، وزعموا أن كل مايحدث في العباد من كفر وضلال ، ومن فسق وفجور ، ومن ظلم وجور ، ومن كذب وشهادة زور، ومن كل نوع من أنواع القبائح ، فالله تعالى فاعل ذلك كله ، وخالقه وصانعه ، والمريد له ، والمدخل فيه ، وأنه يأمر قوماً من عباده بما لايطيقون ويكلفهم بما لايستطيعون ، ويخلق فيهم مالا يتهيأ لهم الامتناع منه ، ولايقدرون على دفعه ، مع كونه على [خلاف] [2] ما أمرهم به [3] ، ثم يعذبهم على ذلك في جهنم بين أطباق النيران خالدين فيها أبداً .

ويزعم منهم قوم أنه يشرك معهم في ذلك العذاب[4] الاطفال الصغار[5] الذين لاذنب لهم ولا جرم ، ويجيز آخرون [منهم] أنه يأمر [6] الله تعالى العباد وهم على ماهم عليه من هذا الخلق وهذا التركيب أن يطيروا في جو السماء وأن يتناولوا النجوم، [وأن][7] يقتلعوا الجبال ويدكدكوا الارض، ويطووا السماوات كطي السجل ، فاذا لم يفعلوا ذلك لعجزهم عنه وضعف بنيتهم عن احتماله ،

---

١) في أ : الى جعل .
٢) الزيادة من مط .
٣) في مط : ما أمر به .
٤) في مط : العدل .
٥) في مط : والصغار .
٦) في مط : ويجيز آخرون [أنه] أن يأمر .
٧) الزيادة من مط .

عذبهم في نار جهنم عذاباً دائماً ، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وتقدس عما وصفوه به .

بل نقول : انه العدل الكريم الرؤف الرحيم ، الذي حسنات العباد منسوبة اليه ، وسيئاتهم منفية عنه، لانه امر بالحسنة ورضيها [1] ورغب فيها، وأعان عليها، ونهي عن السيئة وسخطها، وزجر عنها، وكانت طاعات العباد منه بالامر والترغيب ولم تكن معاصيهم منه للنهي والتحذير ، وكان جميع ذلك من فاعليه ومكتسبيه بالفعل والاحداث ، وكانت معاصيهم وسيئاتهم من الشيطان بالدعاء والاغواء .

[آراء المخالفين لاهل العدل] [2]

فأما من يخالفنا فقد افتضحوا حيث قالوا :ان من الله جور الجائرين وفساد المعتدين ، فهو عندهم المريد لشتمه ، ولقتال أنبيائه ، ولعن أوليائه ، وانه أمر بالايمان ولم يرده ، ونهى عن الكفر وأراده ، وأنه قضى بالجور والباطل ثم أمر عباده بانكار قضائه وقدره، وانه المفسد للعباد ، والمظهر في الارض الفساد، وأنه صرف أكثر خلقه عن الايمان والخير، وأوقعهم في الكفر والشرك ، وأن من أنفذ وفعل ما شاء عذبه ، ومن رد قضاءه وأنكر قدره وخالف مشيئته اثابه ونعمه ، وأنه يعذب أطفال المشركين [بذنوب آبائهم] [3] وانه تزر الوازرة عندهم [4] وزر أخرى ، وتكسب النفس على غيرها ، وأنه خلق أكثر خلقه للنار، ولم يمكنهم من طاعته ثم أمرهم بها، وهو عالم بأنهم لايقدرون عليها، ولايجدون

---

١) زاد في مط : [رضي بها خ] .
٢) العنوان من مط .
٣) الزيادة من مط .
٤) في أ : عنده .

السبيل اليها ، ثم استبطأهم لم لم يفعلوا مالم يقدروا عليه[1] ولم لم يوجدوا مالم يمكنهم منه ؟ وانه صرف اكثر خلقه عن الايمان ثم قال : « أنى تصرفون »[2] وأفكهم وقال : « أنى تؤفكون »[3] ، وخلق فيهم الكفر ثم قال : « لم تكفرون»[4] وفعل فيهم لبس الحق بالباطل ثم قال : « لم تلبسون الحق بالباطل »[5] ، وأنه دعى الى الهدى ثم صد عنه وقال : « لم تصدون عن سبيل الله »[6] .

وقال خلق كثير منهم : ان الله تعالى منع العباد من الأيمان مع قوله : «وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى »[7] وأنه حال بينهم وبين الطاعة ثم قال: « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر »[8] . وأنه ذهب بهم عن الحق ثم قال « فأين تذهبون »[9] ، وأنه لم يمكنهم من الأيمان ولم يعطهم قوة السجود ثم قال : « مالهم لايؤمنون. واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون »[10] ، وأنه فعل بعباده الاعراض عن التذكرة ثم قال : « فما لهم عن التذكرة معرضين »[11] وأنه يمكر بأوليائه المحسنين ، وينظر لاعدائه المشركين .

---

١) في أ : مالا يقدرون عليه .
٢) سورة يونس : ٣٢ .
٣) سورة الانعام : ٩٥ .
٤) سورة آل عمران : ٧٠ .
٥) سورة آل عمران : ٧١ .
٦) سورة آل عمران : ٩٩ .
٧) سورة الاسراء : ٩٤ .
٨) سورة النساء : ٣٩ .
٩) سورة التكوير : ٢٦ .
١٠) سورة الانشقاق : ٢٠-٢١ .
١١) سورة المدثر : ٤٩ .

لان العبد عندهم مجتهد في طاعته، فبينما هو كذلك وعلى ذلك اذخلق فيه الكفر ، وأراد له الشرك ، ونقله مما يحب الى ما يسخط ، وبينما هو[3] مجتهد في الكفر به ، والتكذيب له ، اذنقله من الكفر الى الايمان ، وهو عندهم لعدوه أنظر منه لوليه ، فليس يثق[4] وليه بولايته ، ولا[5] يرهب عدوه من عداوته .

وانه يقول للرسل : أهدوا الى الحق من عنه قد أضللت، وانهوا عبادي[1] عن أن يفعلوا ما شئت وأردت ، وأمروهم أن يرضوا بما قضيت وقدرت ، لانه عندهم شاء الكفر ، وأراد الفجور ، وقضى الجور ، وقدر الخيانة .

ولولا كراهة الاكثار لاتينا على وصف مذهبهم ، وفيما ذكرناه كفاية في تقبيح[6] مذهبهم ، والحمد لله على قوة الحق وضعف الباطل .

فصل

[الخير والشر ومعنى نسبتهما اليه تعالى] [5]

ان سأل سائل فقال : أتقولون ان الخير والشر من الله تعالى ؟

قيل له : ان أردت أن من الله تعالى العافية والبلاء والفقر والغناء، والصحة والسقم، والخصب والجدب ، والشدة والرخاء ، فكل هذا من الله تعالى، وقد تسمى شدائد الدنيا شراً وهي في الحقيقة حكمة وصواب وحق وعدل. وان أردت أن من الله الفجور والفسوق ، والكذب والغرور والظلم والكفر والفواحش

---

١) في مط : وبينما عبد .

٢) في أ : فليس يبقى .

٣) في مط : وليس .

٤) في هامش أ : في تنقيح خ ل .

٥) الزيادة من مط .

والقبائح فمعاذالله أن نقول ذلك ! بل الظلم من الظالمين والكذب من الكاذبين، والفجور من الفاجرين ، والشرك من المشركين ، والعدل والانصاف من رب العالمين .

وقد اكد الله تعالى ما قلنا فقال : « ودكثير من أهـل الكتاب او يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عنـد أنفسهم »[1] ولم يقل : من عند خالقهم ، فعلمنا أن المعصية من عباده ، وليس هي من قبله ، وقال عز وجل : « وان منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هومن الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو مـن عندالله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »[2] فعلمنا أن الكذب والكفر ليس من عند الله ، واذا لـم يكن من عنـد الله فليس من فعله ولا من صنعه .

وقال عزوجل : « لبئسما قدمت لهم انفسهم »[3] وما قدمته [لهم][4] أنفسهم لم يقدمه لهم ربهم .

وقال : « فطوعت له نفسه قتل أخيه »[5] ولم يقل حمله على القتل ربه ، ولا ألجأ اليه خالقه .

وقال : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقـد جئتم شيئاً اداً . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً »[6] فأخبر[7]

---

١) سورة البقرة : ١٠٩ .

٢) سورة آل عمران : ٧٨ .

٣) سورة المائدة : ٨٠ .

٤) الزيادة من مط .

٥) سورة المائدة : ٣٠ .

٦) سورة مريم : ٨٨-٩١ .

٧) في أ : فأخبرهم .

أنهم جاءوا بالاد ، ولم يقل أنا جئت به فأدخلته قلوبهم، وقال «أن دعوا للرحمن ولداً» فأخبر أنهم [هم] [1] ادعوا الولد ولم يدعه لنفسه .

ثم أخبر جل وعز عن الانبياء عليهم السلام لما عوتبوا على ترك مندوب وما أشبهه اضافة ما ظاهره الاخلال بالافضل من الافعال الى أنفسها ولم تضفها الى خالقها ، فقال آدم وحواء عليهما السلام : « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »[2] وقال يعقوب لبنيه : «بل سولت لكم أنفسكم»[3] ولم يقل سول لكم ربكم .

وقال بنو يعقوب : « يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين »[4] ولم يقولوا ان خطايانا من ربنا .

وقال :« وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ـ بمعنى ان نضيق عليه كما قال :يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يضيق وقال ومن قدر عليه رزقه أي ضيق ـ فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انـي كنت مـن الظالمين »[5] فأقر على نفسه ولم يضف الى ربه .

وقال : « رب اني ظلمت نفسي »[6] من بعد ماقال : « فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان »[7] ولم يقل من عمل الرحمن .

---

١) الزيادة من أ .
٢) سورة الاعراف : ٢٣ .
٣) سورة يوسف : ١٨ .
٤) سورة يوسف : ٩٧ .
٥) سورة الانبياء : ٨٧ .
٦) سورة القصص : ١٦ .
٧) سورة القصص : ١٥ .

وقال يوسف عليه السلام : «من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي»[1] .

وقال الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وآله : « قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي »[2] .

وقال فتى موسى عليه السلام : «اني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان»[3] ولم يقل وما انسانيه الا الرحمن . فما قالوه موافق لقول الله سبحانه : «يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »[4] فقال رجس من عمل الشيطان، ولم يقل رجس من عمل الرحمن ، وقال : «انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء» فعلمنا أن ماأراد الشيطان غير ماأراد الرحمن ، وأخبر أن الشيطان يصد عن ذكر الله ولم يقل الرحمن يصد عن ذكر الله .

وقال : « انما النجوى من الشيطان »[5] ولم يقل من الرحمن .

وقال : « لايفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة »[6] يعني بوسوسته وخديعته .

وقال عزوجل : « لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا

---

١) سورة يوسف : ١٠٠ .

٢) سورة سبأ : ٥٠ .

٣) سورة الكهف : ٦٣ .

٤) سورة المائدة : ٦٠-٦١ .

٥) سورة المجادلة : ١٠ .

٦) سورة الاعراف : ٢٧ .

صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون »[1] فأخبر أن الشيطان أضلهم عن الحق .

وقال : « ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً »[2]

وقال تعالى : « وقال الشيطان لما قضي الامـر ان الله وعدكم وعـد الحق و وعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان الأأن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم »[3] ولم يقل فلا تلوموني ولوموا ربكم ، لانه افسدني وافسدكم ، وكفرني وكفركم .

و [لو][4] قصدنا الى الاخبار عما أضافه الله تعالى الى الشيطان من معاصي العباد لكثر ذلك وطال به الكتاب .

فصـل

[الفرق بين صنع الخالق والمخلوق ودلالة الكتاب][5]

فان قال قائل :ما الدليل على أن الله تعالى لم يفعل أفعال عباده، وان فعل العبد غير فعل رب العالمين ؟

قيل له : الدليل على ذلك من كتاب الله تعالى، ومن أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن اجماع الامة ، ومن حجج العقول :

فأما مايدل على ذلك من كتاب الله فقوله سبحانه وتعالى : « صنع الله الذي

---

١) سورة يس : ٦٠-٦٢ .
٢) سورة الاسراء : ٥٣ .
٣) سورة ابراهيم : ٢٢ .
٤) الزيادة من أ .
٥) الزيادة من مط .

أتقن كل شيء »[1] فلما لم يكن الكفر بمتقن ولا بمحكم علمنا أنه ليس من صنعه .

وقال تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون »[2] وقد علمنا ان الله تعالى قد جعل وخلق الشاة والبعير ، وانما ينفي عن نفسه ما جعلوه من الشق الذي فعلوه في آذان انعامهم ، فعلمنا أن ما نفاه الله تعالى عن نفسه هو كفر العباد وفعلهم .

وقال تعالى : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت »[3] فلما كان الكفر متفاوتاً متناقضاً علمنا انه ليس [من خلق الله تعالى ، وقال تعالى « الذي أحسن كل شيء خلقه »[4] ، فلما لم يكن الكفر بحسن علمنا انه ليس][5] من خلقه ولا من فعله ، لان خلق الله هو فعله ، وقد قال : انه « يخلق مايشاء »[6] وقال « كذلك الله يفعل مايشاء »[7] وأخبر أن خلقه وفعله واحد .

فان قال قائل منهم : ان الكفر حسن لان الله خلقه .

قيل له : لو جاز أن يكون حسناً لان الله تعالى خلقه ، جاز أن يكون حقاً وصدقاً وعدلا وصلاحاً ، [فلما لم يجز أن يكون الكفر حقاً ولا صدقاً ولا عدلا ولا صلاحاً][8] لم يجز أن يكون حسناً ، ولو كان الكفر حسناً كان الكافر محسناً

---

١) سورة النمل : ٨٨ .
٢) سورة المائدة : ١٠٣ .
٣) سورة الملك : ٣ .
٤) سورة سجدة : ٧ .
٥) الزيادة من أ .
٦) سورة آل عمران : ٤٧ .
٧) سورة آل عمران : ٤٠ .
٨) الزيادة من أ .

اذ فعل حسناً ، فلما كان الكافر مسيئاً مفسداً كاذباً جائراً مبطلا ، علمنا [1] ان فعله ليس بحسن ولا حق ولا صدق ولا عدل ولا صلاح .

وقال الله تعالى : « ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » [2] ولو كان فاعلا لها لكان قد أنزل بها أعظم السلطان والحجة .

وقال : « واتخذوا من دون الله الهاً » [3] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقال :«وماجعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وماجعل أدعيائكم أبنائكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » [4] والله قد جعل الاجسام كلها ، وانما نفى عن نفسه أن يكون قولهم لازواجهم وقولهم لاولادهم أنتن أمهاتنا ، وأنتم أبناؤنا ، ثم اخبر أنه لايقول الا حقاً وان الكذب ليس من قوله ولا من فعله .

وقال عز من قائل :« وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » [5] فأخبر أنهم جعلوا له شركاء ، ولو كان الجاعل لما كان قد جعل لنفسه شركاء ، ولايخلو من أن يكون هو جعل لنفسه شركاء دونهم ، او يكونوا [6] هم الذين جعاوا له شركاء ، وهو عن ذلك متعال لم يفعله ولم يجعله ، ولو كان هو الذي جعل لنفسه شركاء دون عباده أوان كان [7] هو جعل ماجعلوا كان قد جعل لنفسه شركاء كما جعل ذلك عباده . فكان قدشارك

---

١) في مط : علما .

٢) سورة النجم : ٢٣ .

٣) سورة مريم : ٨١ .

٤) سورة الاحزاب : ٤ .

٥) سورة الانعام : ١٠٠ .

٦) في مط : أو يكون .

٧) في أ : وانكان .

عباده في شركهم وكفرهم ، ومن جعل لله شريكاً فقد اشرك بالله غيره [وقال][1] « ويجعلون لله البنات »[2] وقال : « ويجعلون لله ما يكرهون »[3] وقال : «وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله »[4] فلو كان جاعلا ما جعلوه من الكفر كان قد جعل لنفسه ما يكرهه ، وجعل لنفسه انداداً ، جل الله عن ذلك .

وقال عزوجل : « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا آلهة من دون الرحمن يعبدون »[5] فنفى أن يكون جعل من دونه آلهة ، فعلمنا أن اتخاذ الاله من دون الله لم يجعله الله .

وقال عزوجل : « اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية»[6] فلو كان هو الذي جعل الحمية في قلوبهم لم يقل هم الذين جعلوا الحمية .

فان قالوا : ما أنكرت أن يجعل ما جعل العباد .

قيل لهم[7]: لوجاز أن يكون جاعلا لما جعله العباد لكان عادلابعدل العباد، ومصلحاً بصلاح العباد ، وجائراً بجور العباد ، ومفسداً بفساد العباد ، وكاذباً بكذبهم، اذ كان لكذبهم وفسادهم وجورهم فاعلا ، فلما لم يجزماذكرناه علمنا أن الله لم يجعل لما جعله العباد .

وقال تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما

---

١) الزيادة من أ .
٢) سورة النحل : ٥٧ .
٣) سورة النحل : ٦٢ .
٤) سورة ابراهيم : ٣٠ .
٥) سورة الزخرف : ٦٥ .
٦) سورة الفتح : ٢٦ .
٧) في أ : قيل له .

يكسبون»[1] فنفى عن نفسه أن يكون كفرهم من عنده تعالى .

وقال عزوجل :«واذ يمكربك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أويخرجوك»[2]

وقال تعالى : « انهم يكيدون كيداً »[3] فلو كان الله فعل الكيد والمكر بالنبي صلى الله عليه وآله كان قد مكر بنبيه وكاده ، تعالى الله عن ذلك .

وقال تعالى :«الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك»[4]

ولو كان اتخاذهم الولد فعل الله كان قد اتخذ ولداً ، ولو كان قد فعل عباده فعله كان له شريك في الملك ، تعالى عن ذلك .

ولو قصدنا الى استقصاء مايدل على مذهبنا في أن الله لم يفعل الظلم والجور والكذب وسائر أفعال العباد لطال بذلك الكتاب ، وفيما ذكرناه كفاية ، والحمد لله رب العالمين .

[الاخبار المانعة من نسبة الشر الى الله تعالى][5]

وأما ماروي عن النبي « ص » من اضافة الحسن الى الله والسوء الى العباد ماروي عن أبي امامة الباهلي[6] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :اضمنوا لي أشياء أضمن لكم الجنة . قالوا : وما هي يارسول الله ؟ قال : لاتظلموا عند

---

١) سورة البقرة : ٧٩ .

٢) سورة الانفال : ٣٠ .

٣) سورة الطارق : ١٥ .

٤) سورة الأسراء : ١١١ .

٥) الزيادة من مط .

٦) ابو امامة الباهلي واسمه صدى بن عجلان الصحابي ، كان من المشاهير سكن مصر ثم حمص وبها توفي سنة ٨١ ، وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام . (أسد الغابة : ١٣٨/٥) .

قسمة مواريثكم ، ولاتجبنوا عندقتال عدوكم، وامنعوا ظالمكم من مظلومكم ، وانصفوا الناس من أنفسكم ، ولاتغلوا غنائمكم، ولا تحملوا على الله ذنوبكم .

وروي عن أبي هريرة [1] أنه قال : قام رجل من خثعم الى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يارسول الله متى يرحم الله عباده ؟ قال «ص» : يرحم الله عباده ما لم يعملوا بالمعاصي ثم يقولون هي من الله .

وروي عن النبي « ص » انه قال : خمسة لانطفأ نيرانهم ولاتموت ديدانهم: رجل أشرك بالله ، ورجل عق والديه، ورجل سعى بأخيه الى سلطان جائر فقتله، ورجل قتل نفساً بغير نفس ، ورجل حمل على الله ذنبه .

وروي عنه (ص) أنه قال : أتاني جبرئيل فقال : يا محمد خصلتان لاينفع معهما صوم ولاصلاة : الاشراك بالله، وأن يزعم عبد أن الله يجبره على معصيته.

ومن ذلك ماروي عن ابن مسعود [2] أنه سئل عن [3] امرأة توفي عنها زوجها ولم يفرض لها صداقاً ؟ فقال : أقول فيها برأيي ، فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان .

وروي عن أبي هريرة انه قال : كان رسول الله (ص) اذا قام بالليل الى الصلاة

---

١) اختلفوا في اسمه كثيراً ،كان من كبار وضاعي الحديث طمعاً فيما بيد معاوية ،وكان يلعب بالشطرنج ويقامر ، وكانت عائشة تتهمه بوضع الاحاديث وترد مارواه ، واستعمله عمر على البحرين فجمع أموالا كثيرة (الكنى والالقاب : ١/ ١٧٢) .

٢) ابو عبد الرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي حليف بني زهرة ، كان اسلامه قديماً ، وكان سببه أنه كان يرعى غمناً فمر به الرسول (ص) واخذ شاة حائلا من تلك الغنم فدرت عليه لبنا غزيراً، بعثه عمر الى الكوفة مع عمار بن ياسر وقال فيه «كنيف ملىء علماً»، مات بالمدينة سنة ٣٢ ودفن بالبقيع وكان عمره حين مات بضع وستين سنة (الاستيعاب: ٣/ ٩٨٧) .

٣) في مط : وروى عن ابن مسعود انه قال : سألت عن . ..

قال : لبيك وسعديك ، الخير في يديك ، والشر ليس اليك .

وروي عن حذيفة [1] عن النبي (ص) انه قال :اذا دعي بي يوم القيامة أقوم فأقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس اليك .

وروي عن أنس [2] انه قال : قال رسول الله (ص) : سيكون في هذه الامة أقوام يعملون بالمعاصي ويزعمون أنهـا من الله ، فاذا رأيتموهم فكذبوهم ثم كذبوهم .

وما أشبه هذه الاخبار كثير ، ولوقصدنا الى ذكرها لطال بها الكتاب وانما نذكر من الباب الذي ينبه به على الحق .

[الادلة العقلية على تنزيه الله من خلق الشرور] [3]

وأما حجة القول على أن الله لم يفعل أفعال العباد ، وأن فعـل الخلق غير فعل [4] رب العالمين ، فهو أنا وجدنا من أفعال العباد ما هو ظلم وعبث وفساد ، وفاعل الظلم ظالم ، وفاعل العبث عابث ، وفاعل الفساد مفسد ، فلما لم يجزأن يكون الله مفسداً علمنا أنه لم يفعل [5] الظلم ولا العبث ولا الفساد .

---

١) حذيفة بن اليمان العبسي ، عد من الاركان الاربعة ، ذكرأنـه لما حضرته الوفاة قال لابنته : أية ساعة هذه؟ قالت : آخر الليل . قال : الحمدلله الذى بلغنى هذا المبلغ ولم اوال ظالماً على صاحب حق ولم اعاد صاحب حق . سكن الكوفة ومات بالمدائن بعد بيعة أميرالمؤمنين على عليهالسلام (منتهى المقال ص ٨٨) .

٢) أنس بن مالك بن النضرالانصارى الخزرجي النجارى ، خادم رسول الله (ص) كان من المكثرين فى الرواية ، وتوفى بالبصرة سنة ٩٣ ، وقيـل فى تاريخ وفاته غيرذلك (أسد الغابة : ١/١٢٧) .

٣) العنوان من مط .

٤) فى أ : غير خلق .

٥) فى أ : لايفعل .

وأيضاً فان أفعالهم التي هي محكمة [منها] [1] ماهو طاعة وخضوع وفاعل الطاعة مطيع ، وفاعـل الخضوع خاضـع ، فلما يجز أن يكون الله مطيعاً ولا خاضعاً علمنا أنه لايفعـل الطاعة ولا الخضوع .

وأيضاً فان الله لايجوز أن يعذب العباد على فعله ، ولا يعاقبهم على صنعه ، ولايأمرهم بأن يفعلوا [ما] [2] خلقه، فلما عذبهم على الكفر، وعاقبهم على الظلم، وأمرهم بأن يفعلوا الايمان ، علمنا أن الكفر والظلم والايمان ليست من فعل الله ولا من صنعه .

ومما يبين ما قلنا :أنه لايجوز أن يعذب العباد على طولهم وقصرهم وألوانهم وصورهم ، لان هذه الامور فعله وخلقه فيهم ، فلو كان الكفر والفجور فعل الله لم يجز أن يعذبهم على ذلك ولا ينهاهم [عنه] [3] ولا يأمرهم بخلافه ، فلما أمر الله العبـاد بالايمان ونهاهم عن الكفر ولم يجز أن يأمرهم بـأن يفعلوا طولهم وقصرهم وألوانهم وصورهم علمنا أن هذه الامور فعل الله، وأن الطاعة والمعصية والايمان والكفر فعل العباد .

وأيضاً فلو جاز أن يفعل العبد فعل ربه ، وان يكسب خلق الهه ـ كما قال مخالفونا ان العباد فعلوا فعل ربهم ـ لجاز أن يكون كلامهم كلام الله، فيكون كلام العبد كلام ربه كما كان كسب العبد [4] فعل خالقه ، فلما لم يجز أن يكون كلام العبد كلام خالقه لم يجز أن يكون فعل العبد فعل الهه ، ولا كسب العبد صنع خالقه، فثبت أن أفعال العباد غير فعل رب العالمين .

---

١) الزيادة من مط .
٢) الزيادة من مط .
٣) الزيادة من أ .
٤) في مط :كما أن كسب العباد .

وأيضافانه لايخلو الظلم في قولهم وفعلهم من أن يكون بخلقه تعالى [فيكون الظالم لاظالماً ومصيباً بذلك لامخطئاً][1] فلو كان الله بخلقه الظلم عادلا [أيضاً][2] كان الظلم عدلا وصواباً، لانه لايجوز أن يصيب الا بفعل الصواب ، ولا يعدل الا بفعل العدل، ولو كان الكفر والظلم صواباً وعدلا كان الكافر والظالم مصيبين عادلين [بالظلم][3] ولا مصيب بفعل [الكفر والظلم][4]، فثبت أن الله لايجوز أن يفعل الظلم والخطأ والفسوق والفجور بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب .

وأيضاً فلو جاز أن يفعل الله الظلم ولا يكون ظالماً لجاز أن يخبربالكذب [بقوله][5] ولا يكون كاذباً ، فلما لم يجز أن يكون الله يقول الكذب ـ لان القائل المخبر بالكذب كاذب ـ كذلك لم يجزأن يفعل الظلم لان الفاعل للظلم ظالم ، فلما لم يجز أن يكون عز وجل ظالماً لم يجز أن يكون للظلم فاعلا ، فنثبت[6] ان الظلم ليس من فعل الله ولا الكذب من قوله سبحانه .

وايضاً فان الله سخط الكفروعابه وذم فاعله ولا يجوز على الحكيم أن يذم العباد على فعل ولا يعيب صنعه ولا يسخط ، بل يجب أن يرضى بفعله ، لان من فعل مالا يرضى به فهو غير حكيم، ومن يعيب ماصنع ويصنع مايعيب فهومعيب والله يتعالى عن هذه الصفات علواًكبيراً ، فلما لم يجز على ربنا أن يعيب ما

---

١) هذه الجملة جاءت فى مط هكذا : بخلقه الظلم عادلا او ظالماً أومصيباً بذلك أو مخطئاً .

٢) الزيادة من أ .

٣) الزيادة من أ .

٤) الزيادة من مط .

٥) الزيادة من مط .

٦) فى أ : ثبت .

صنع و [لا] [1] يسخط ما يفعل علمنا أن أفعال [2] العباد غير فعل رب العالمين .

وأيضاً فان الله قال في كتابه « ولايرضى لعباده الكفر » [3] وقال « ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه » [4] فالله أحكم وأعدل من أن يسخط في فعله ، ويغضب من خلقه ، ويفعل مالا يرضى به .

وأيضاً فـان الفاعل للفاحشة والظلم والكفر أكثر استحقاقاً للذم من الامر بالفاحشة أوالكفر ، فلما كان الامر بالكفر والظلم والفواحش غير حكيـم كان الفاعل لذلك والمحدث له غير حكيم ، فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا أنه غيرفاعل للكفر، ولامحدث للظلم، ولا مبتدع للقبائح، ولا مخترع للفواحش، وثبت أن الظلم فعل الظالمين ، والفساد فعل المفسدين ، والكذب فعل الكاذبين وليس شيء من ذلك فعل رب العالمين .

وأيضاً فانه لاتخلو [5] أفعال العباد من أن تكون كلها فعل رب العالمين لافاعل لها غيره، أو أن تكون فعله وفعل خلقه وكسبهم، أوأن تكون فعل العباد وليست بفعل الله، فلما لم يجز أن يكون الله تعالى منفرداً بالافعال ولافاعل لها غيره لانه لو كان كذلك كان لايجوز ارسال الرسل وانزال الكتب ولبطل الامر والنهي، والوعد والوعيد ، والحمد والذم ، لانه لافعل للعباد ، واوجب أيضاً أن يكون هو الفاعل لشتم نفسه ، وللعن أنبيائه ، وللفسوق والفجور ، والكذب والظلم ، والعبث والفساد ، فلو [6] كان ذلك منه وحده كان هو الظالم [والكاذب] [7] والعابث

---

١) الزيادة من أ .

٢) في مط : أن فعل .

٣) سورة الزمر : ٧ .

٤) سورة محمد : ٢٨ .

٥) في أ :لايخلو .

٦) في أ : ولو .

٧) الزيادة من أ .

والمفسد ، اذ كان لافاعل للظلم والعبث والكذب والفساد غيره ، ولو كان فاعلا لما فعله العباد كان هو الفاعل للظلم الذي فعله العباد والكذب والعبث والفساد وكان يجب أن يكون ظالماً كما انهم ظالمون، وكان عابثاً مفسداً اذ لم يكونوا[1] الفاعلين لهذه الامور دونه ، ولا هو الفاعل لها دونهم .

فلما بطـل هذان الوجهان ثبت الثالث ، وهو أن هـذه الافعال عمل العباد وكسبهم، وانها ليست من فعل رب العالمين ولا صنعه، ولوقصدنا الى استقصاء أدلة أهل العدل في هذا الباب لطال بذلك الكتاب .

فصـل

[اللوازم الفاسدة للقول بخلق افعال العباد] [2]

ومما يسأل عنه ممن زعم أن فعل العباد هوفعل الله وخلقه أن يقال لهم : أليس مـن قولكم [3] ان الله محسن الى عباده المؤمنين ، اذ خلق فيهم الايمان وبين [لهم] [4] بفعل الايمان ؟ .

فان قالوا : لانقول ذلك ، زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لـم يحسن في تبليغ الرسالة ، وكفى بهذا خزياً لهم .

فان قالوا : ان الانسان المؤمن محسن بفعل الايمان وكسبه. يقال لهم:فقد كان احسان واحد من محسنين بفعل الايمان وكسبه [5] من الله ومن العبد .

فان قالوا: بذلك.قيل لهم :فما أنكرتم أن تكون اساءة واحدة من مسيئين،

---

١) في مط : اذا لم يكونوا .

٢) العنوان زيد من مط .

٣) في أ : له أليس من قولكم .

٤) الزيادة من أ ، وفوقها حرف «ظ» .

٥) اضاف في أ : من محسنين .

فيكون الله عز وجل مسيئاً بما فعل من الاساءة التي العبد بها مسيء ، كما كان محسناً بالاحسان الذي به العبد محسن .

فان قالوا : انه مسيء باساءة [العباد] [1] لزمهم أن يكون ظالماً بظلمهم ، وكاذباً بكذبهم ، ومفسداً بفسادهم ، كما كان مسيئاً باساءتهم .

فان قالوا : لايجوز أن تكون اساءة واحدة بين مسيئين . قيل لهم : فما أنكرتم أن لا يكون احسان واحد بين محسنين ، ولا يجدون من هذا الكلام مخرجاً والحمد لله رب العالمين .

وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها ، ويقال لهم :أليس الله نافعاً للمؤمنين بما خلق فيهم من الايمان . فمن قولهم : نعم . فيقال لهم : والعبد نافع لنفسه بما فعل من الايمان . فاذا قالوا : نعم . قيل لهم : قد ثبت أن منفعة واحدة من نافعين هي منفعة من الله بالعبد بأن خلقها ، ومنفعة من العبد بأن اكتسبها .

فان قالوا : نعم . قيل لهم : وكذلك الكفر قدضر الله به الكفار بأن خلقه، وضر الكافر نفسه بأن اكتسب الكفر .

فان قالوا : نعم [2] . قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون الله قدأفسد الكافر بأن خلق فساده ويكون الكافر هو أفسد نفسه بأن اكتسب الفساد .

فان قالوا : نعم . قيل : فما انكرتم أن يكون الكافر جائراً على نفسه بما اكتسب من الجور [3] . [فان قالوا : جائر .قيل لهم : فما انكرتم أن يكون الله جائراً على نفسه بمافعل من الجور] [4] أيضاً كما قلتم في الكافر ، فان قالوا :جائر

---

١) الزيادة من أ .
٢) فى مط : فان قالوها .
٣) فى مط : من [فعل خ] الجور .
٤) الزيادة من أ .

خرجوا من دين أهل القبلة ، وان قالوا : لايجوز أن يكون الله جائراً بما فعله العباد من الجور ، قيل لهم : وكذلك ما انكرتم أن لايكون [1] مفسداً بفسادهم ، ولا ضاراً لهم بضررهم .

فان قالوا بذلك ، قيل لهم : فما أنكرتم أن لايكون فاعلا لما فعلوه من الكفر والفساد وأن يكون فعله غير فعلهم، وكلما اعتلوا بعلة [في هذا الكلام][2] عورضوا بمثلها .

ويقال لهم : أليس الله نافعاً للعباد [المؤمنين][3] بما خلق فيهم من الايمان. فمن قولهم : نعم . فيقال : وكذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نفعهم بمادعاهم الى الايمان .

فان أبوا ذلك وزعموا أن النبي مانفع احداً ولا احسن الى احد . قيل لهم : فما أنكرتم أن لايجب على المؤمنين شكره ولاحمده ، اذ كان غير نافع لهم ولا محسن اليهم .

وان قالوا : ان النبي (ص) قد نفعهم بدعائه اياهم الى الايمان.قيل لهم : أفليس الله بما خلق فيهم من الايمان أنفع لهم من النبي (ص) اذ دعاهم الى الايمان، فلابد لهم من نعم، لان النبى قد يجوز أن يدعوهم الى الايمان، فلابد لهم من نعم يجيبون اليه [4] ولايجوز أن يخلق الله فيهم الايمان الاوهم مؤمنون .

فيقال : أفليس قد ضر الله الكافر في قولهم بما خلق فيه من الكفر ؟ فمن قولهم : نعم . [يقال لهم : وكذلك ابليس قد ضرهم بدعائه] [5] اياهم الى

---

١) فى أ : أن يكون .
٢) الزيادة من أ .
٣) الزيادة من أ .
٤) فى أ : فلا يجيبون اليه .
٥) فى مط : فمن قولهم نعم افليس قد ضرهم ابليس بدعائه .

الكفر ، فلابد من نعم والالزمهم أن لايكون ابليس وسوس الى أحـد بمعصيته ولا يجب ان يذم على شيء من افعاله ، وردوا أيضاً مـع ذلك كتاب الله ، لان الله يقول : « الشيطان يعـدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منـه وفضلا »[1] .

ويقال لهم: فأيما اعظم المضرة التي فعلها الله تعالى بالكافر من خلق الكفر [فيه][2] أو المضرة التي فعلها ابليس من دعائه اياهم الى الكفر ؟ فان قالوا : المضرة التي فعلها بهم ابليس مـن دعائه اياهم الى الكفر أعظم . قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون منفعة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم للمؤمنين أعظم بدعائه اياهم الى الايمان .

فان قالوا : ان المضرة التي خلقها الله فنهم أعظم . قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون مضرة الله للكافرين في خلق الكفرفيهم أعظم من مضرة ابليس بدعائه اياهم الى الكفر .

فان قالوا ذلك[3] قيل لهم : فقد وجب عليكم ان الهكم أضر على الكافرين من ابليس. فاذا قالوا : انه أضرعليهم من ابليس. قيل لهم :فما انكرتم ان يكون شراً عليهم من ابليس كمـا كان أضر عليهم من ابليس كمـا قلتم : ان الله انفع للمؤمنين من النبي وخيرلهم من النبي (ص) .

فان قـالوا : ان الهم شرمن ابليس فقد خرجوا من دين أهـل القبلة ، وان أبوا ذلك لم يجدوا منه مخرجاً مع التمسك بقولهم .

ويقال لهم : أتقولون ان الله قد ضر الكفار في دينهم ؟ فمن قولهم : نعم.

---

١) سورة البقرة : ٢٦٨ .

٢) الزيادة من أ .

٣) في مط : فان قالوا بذلك .

فيقال لهم : فما أنكرتم ان يغرهم [1] في دينهم كما أنـه ضرهم في دينهم . فان قالوا : ان الله لايغر[2] العباد في أديانهم . قيل لهم : والله لايضرهم في ايمانهم.

وان قالوا : ان الله يغرهم [3] في أديانهم . قيل لهم : فما أنكرتم أن يموه عليهم ويخدعهم عن أديانهم ؟ فان قالوا بذلك شتموا الله أعظم الشتيمة . وان قالوا: ان الله لايخدع أحداً عن دينه ولايغراحداً عن دينه. قيل لهم : فماأنكرتم أن لايجوز أن يضره في دينه . وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

ويقال لهم : أتقولون ان الله ضر النصراني في دينه اذ جعله نصرانياً وخلق فيه الكفر ، وكذلك اليهودي ؟ فـان قالوا : نعم ــ وهـو قولهم ــ فيقال لهم : فما أنكرتم ان يفسده [4] في دينـه فيكون مفسداً لعباده في أديانهم . فـان قالوا : انه مفسدلهم في أديانهم . قيل لهم : أفيجب عليهم شكره وهو في قولهم مفسد لهم ؟ فان قالوا : لايجب أن يشكر صح كفرهم، وان قالوا : انه يجب أن يشكر. قيل لهم : على ماذا يشكر ؟ فان قالوا : على الكفر فقد افتضحوا وبان خزيهم. وان قالوا : انه يشكر [على] [5] ماخلق فيهم من الصحة والسلامة . قيل لهم : أوليس هـذه الامور عندكم قد فعلها مضرة عليهم في دينهم ليكفروا ويصيروا الى النار ، فكيف يكون مابه هلاكهم نعمة عليهم ؟ ! فاذا جاز ذلك يكون من أطعمني خبيصاً مسموماً ليقتلني بـه منعماً علي ومحسناً [الي] [5] فـان قالوا : لايكون محسناً الى الكافر بهذه الأمور اذ انمافعلها فيهم ليكفروا ويصيروا الى النار،

---

١) في مط : أن يعذبهم .
٢) في مط : لايضر .
٣) في مط : يضرهم .
٤) في مط : أن يفسد .
٥) الزيادات من أ .

فلابد لهم ان لايروا الشكر لله على العباد واجباً، فيخرجوا من دين أهل القبلة .

ويقال لهم : أليس الله بفعله للصواب مصيباً ؟ فمن قولهم : نعم يقال لهم : فاذا زعمتمم أنه قد جعل الخطأ فما انكرتم أن يكون مخطئاً ؟ فان قالوا : انه مخطيء ، بان كفرهم ، وان قالوا : لايكون بفعله للخطأ مخطئاً . قيل لهم : فما أنكرتم أن لايكون بفعله للصواب مصيباً كمالم يكن بفعله للخطأ مخطئاً؟وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

ويقال لهم: أليس الله عزوجل مصلحاً للمؤمنين بما خلق فيهم من الصلاح؟ فاذا قالوا :نعم . قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون مفسداً للكافرين بما خلق فيهم من الكفر والفساد ؟ فان قالوا بذلك . قيل لهم : فما انكرتم أن يكون ظالماً بما خلق فيهم من الظلم ؟ فان أبوا ذلك يسألوا الفصل بينهما ولن يجدوه ، وان قالوا : انه ظالم ، فقد وضح شتمهم الله تعالى .

ويقال لهم : أتقولون ان الله مصيب عادل في جميع ماخلق ؟ فاذا قالوا : نعم . قيل لهم :فما أنكرتم أن يكون جميع ما خلق صواباً وعدلا ان كان عادلا مصيباً في خلقه[1] .فان قالوا : ان جميع ماخلق عدل وصواب. قيل لهم : أفليس من قولكم ان الظلم والكفر والخطأ عدل وصواب . فان قالوا : ان ذلك عدل وصواب . قيل لهم : فما أنكرتم ان يكون [ذلك] [2] حقاً وصلاحاً .

فان قالوا: بذلك فقد وضح فساد قولهم ولزمهم أن يكون الكافر عادلا بفعله الكفر وان يكون مصيباً محقاً[3] مصلحاً ان كان فعله عدلا وصواباً وحقاً وصلاحاً. فان أبوا أن يكون الكفر صلاحاً وصواباً وحقاً وعدلا قيل لهم: فما أنكرتم ان لا

---

١) في مط : بخلقه .

٢) الزيادة من مط .

٣) في مط : حقاً .

يكون بفعله الجور عادلا، ولا بفعله الخطأ مصيباً ولا بفعله الفساد مصلحاً اذاً، فان قالوا بذلك ، قيل لهم : فما أنكرتم ان لايكون الخطأ والجور من فعله اذ كان مصيباً عادلا في جميع فعله . فان قالوا بذلك ، تركوا قولهم وصاروا الى قول أهل الحق : ان الله لايفعل خطأ ولاجوراً ولا باطلا ولافساداً .

ويقال لهم : أتقولون ان الله يفعل الظلم ولا يكون ظالماً ؟ فمن قولهم : نعم . يقال [لهم] : [1] فما الفرق بينكم وبين من قال انه ظالم وانه لم يفعل ظلماً؟ وان قالوا : [انه] [2] لايجوز أن يكون ظالماً الامن فعل ظلماً، قيل لهم: وكذلك لايجوز أن يكون للظلم فاعلا ولايكون ظالماً ، بل يجب أن يكون من كان للظلم فاعلا أن يكون ظالماً .

ويقال لهم : أليس من قولكم ان الله خلق الكفر في الكافرين ثم عذبهم عليه ؟ فاذا قالوا : نعم. يقال لهم : فما أنكرتم أن يضطرهم الى الكفر ثم يعذبهم عليه؟ فان قالوا : لو اضطرهم الى الكفر لم يكونوا مأمورين ولامنهيين لانه لايجوز أن يؤمروا ولاينهوا بما اضطرهم اليه . قيل لهم : ولو كان الكفر قد خلق فيهم لم يكونوا مأمورين ولامنهيين لانه لايجوز أن يؤمروا وينهوا بما خلق الله فيهم ، وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

وان قالوا : ان الله اضطرهم الى الكفر . قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون [قد] [3] حملهم عليه واجبرهم، [عليه] [3] واكرههم. فان قالوا بذلك [فقد] [3] صاروا الى قول جهم انه لافعل للعباد وانماهم كالحجارة تقلب وان لم تفعل شيئاً كالابواب تفتح وتغلق وان لم تفعل شيئاً ، ولزمهم مالزم جهماً .

---

١) الزيادة من مط .

٢) الزيادة من أ.

٣) الزياتان من أ .

فان صاروا الى قول جهم ، قيل لهم : اذا جاز عندكم أن يعذب الله العباد على مالم يكن منهم بل يعذبهم على مااضطرهم اليه وحملهم [عليه][1] فما أنكرتم أن يعذبهم على ألوانهم وصورهم وطولهم وقصرهم .

فان قالوا بذلك ، قيل لهم : فلم لايجوز أن يعذبهم من خلقهم وخلق السماوات والارض . فان قالوا بذلك سقطت مؤنتهم ولم يؤمنوا لعل الله سيعذب قوماً على ماذكرنا، وان قالوا :لايجوز أن يعذبهم على ماذكرتم . قيل لهم : فما انكرتم أن لا يجوز أن يعذبهم على ما اضطرهم اليه واجبرهم عليه .

ويقال لهم ان صاروا الى قول جهم : اذا زعمتم أن لافاعل الا الله فما أنكرتم أن يكون لاقائل الا الله ؟ فان قالوا بذلك : قيل لهم فما أنكرتم أن يكون هو القائل اني ثالث ثلاثة ، وان لي ولداً ، وهو الكاذب بقول الكاذب ، وازمهم ان يكون [2] جميع أخباره كذباً ، وان قالوا : لايجب أن يكون لاقائل الا الله لان هذا يوجب انه ظالم عابث اذ لم يفعل الظلم والعبث غيره .

وان امتنع القوم من أن يقولوا انه اضطرهم [3] الى الكفر . قيل لهم : فما أنكرتم أن لايكون قد خلق فيهم الكفر كما لم يضطرهم اليه ويحملهم عليه .

ويقال لهم : أليس الله تعالى خلق الكفر والايمان ، وأمر بالايمان ونهى عن الكفر ، وأثاب على الايمان وعاقب على الكفر ؟ فاذا قالوا : نعم ، قيل لهم فقد امر الله تعالى العباد أن يفعلوا خلقه ونهاهم وغضب من خلقه لان الله تعالى غضب من الكفر [وسخط][4] وهو خلقه . فان قالوا بذلك قيل لهم : فلم

---

١) الزيادة من أ .
٢) فى مط : ان تكون .
٣) فى أ : ان اضطرهم .
٤) الزيادة من أ .

لايجوز أن يغضب من كل خلقه كما غضب من بعض [خلقه] [1] ، ولم لايجوز أن يأمر وينهى العباد ويثيبهم ويعاقبهم على السواد والبياض والطول والقصر ، كما أمرهم بخلقه ونهاهم عن خلقه وأثابهم وعاقبهم على خلقه .

ويقال لهم : أليس الله تعالى [قد] [2] فعل الظلم وليس بظالم؟ فمن قولهم : نعم . يقال لهم : فما أنكرتم أن يخبر بالكذب ولايكون كاذباً؟ فان قالوا بذلك لم يؤمنوا ان جميع اخباره عن الغيب والحساب والجنة والنار كذب وان لم يكن كاذباً ، وان قالوا : لايجوز أن يخبر بالكذب الاكاذب ، قيل لهما : فما أنكرتم ان لايفعل الظلم الا ظالم .

فان قالوا : لايجب أن يكون الله ظالماً لانه انما فعل ظلم العباد . قيل : فما انكرتم ان لايكون كاذباً لانه انما قال كذباً العباد[3] ، ولم يجدوا مما سألناهم [عنه] [4] مخلصاً .

ويقال لهم : أليس الله تعالى قد فعل [عندكم][4] شتم نفسه ولعن انبيائه ؟ فان قالوا :نعم . قيل لهم :فما انكرتم ان يكون شاتماً لنفسه لاعناً لانبيائه. فان قالوا: انه شاتم لنفسه لاعن لانبيائه، فقد سقطت مؤنتهم وخرجوا عن دين أهل القبلة . وان قالوا : ان الله لا يجوز أن يشتم نفسه ويلعن [5] انبياءه ، قيل لهم : فما انكرتم ان لايجوز أن يفعل شتم نفسه ولا لعن [6] انبيائه . وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

---

٢) الزيادة من أ .
٣) فى أ :كذب العباد .
٤) الزيادة من أ .
٥) فى مط : ولايلعن .
٦) فى أ : ولا قتل .

فصل

[التنديد بالقائلين بخلق الافعال][1]

قدكان الاولى ان لاندل على مثل هذه المسألة ـ اعني ان أفعال العباد فعلهم وخلقهم ـ لان المنكر لذلك ينكر المحسوسات التي قد تبين صحتها ، ولولا ما رجوته من زوال شبهة، ومن وضوح[2] حجة تحصل لقاريء كتابي هذا لما كان هذا الباب مما ينتشر فيه القول .

ولا أعجب ممن ينفي فعله مع علمه بأنه يقع بحسب اختياره ودواعيه ومقاصده ، نعوذ بالله من الجهل ، فانه اذا استولى وغمر طبق وعم ، وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله وسلم : حبك الشيء[3] يعمي ويصم .

وقد قال الله سبحانه في قوم عرفوا ثم عاندوا[4] : « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »[5] .

فصل

[تنزيهه تعالى عن القضاء بغير الحق][6]

فان قال منهم قائل : ماذا نفيتم ان يكون الله فاعلا لافعالكم ، افتقولون انه

---

١) العنوان زيد من مط .

٢) في مط : ومن وضح [وضوح] .

٣) في أ : للشيء .

٤) في أ ثم : عاندوه .

٥) سورة النمل : ١٤ .

٦) العنوان زيد من مط .

قضى اعمالكم ؟ قيل له : ان الله تعالى قضى الطاعة اذ امر بها ولم يقض الكفر والفجور والفسوق .

فان قال: فما الدليل على ماقلتم؟ قيل له: من الدليل على ذلك قول الخالق الصادق عز وجل: « والله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين »[1] فعلمنا انه يقضي بالحق ولا يقضي بالباطل ، لانه لو جاز أن يتمدح بأنه يقضي بالحق وهو يقضي غير الحق ويقضي بالباطل لجاز ان يقول :والله يقول الحق وهو يقول غير الحق، فلما كان قوله والله يقول الحق دليلا على انه لايقول غير الحق كان قوله يقضي الحق دليلا على أنه لايقضي غير الحق .

ويدل على ذلك قوله تعالى : « والله يقضي بالحق » [2] ، فعلمنا انه يقضي بالحق ولا يقضي بالجور .

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: «وقضى ربك ألاتعبدوا الاإياه وبالوالدين احساناً » [3] ، فعلمنا أنه لم يقض عبادة الاصنام والاوثان ولا عقوق الوالدين.

ومما يبين ذلك أيضاً أن الله اوجب علينا أن نرضى بقضائه ولا نسخطه ، وأوجب علينا أن نسخط الكفر ولا نرضاه، فعلمنا أن الكفر ليس من قضاء ربنا.

ومما يبين ذلك أن الله تعالى أوجب علينا أن ننكر المنكر وأن نمنع الظلم، فلو كان الظلم من قضاء ربنا كان اوجب علينا ان ننكر قضاءه وقدره ، فلما لم يجز أن يوجب الله تعالى انكار قضائه ولا رد قدره، علمنا أن الظلم ليس من قضائه ولا قدره .

وأيضاً قال الله تعالى في كتابه : « ويقتلون النبيين بغير الحق » [4] وقال :

---

١) اتفقت النسخ على هذا ، والاية في سورة الانعام ٥٧ هكذا : « وان الحكم الا لله يقص الحق وهو خيرالفاصلين » .

٢) سورة غافر : ٢٠ .

٣) سورة الاسراء : ٢٣ .

٤) سورة البقرة : ٦١ .

« يقضي بالحق »[1] فعلمنا أن ما كان بغير الحق غير ما قضى بالحق ، فلو كان قتل الانبياء من قضاء الله كان حقاً، وكان يجب علينا الرضا به ، لانه يجب علينا الرضا بقضاء الله ، وقد أمر الله تعالى أن لايرضى بغير الحق ولايرضى بقتل الانبياء . فعلمنا أن قتلهم ليس بقضاء ربنا ولا من فعل خالقنا .

ومما يبين أن الله تعالى لم يقدر الكفر قوله تعالى في كتابه: «سبح اسم ربك الاعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى»[2] ولم يقل انه قدر الضلال على خلقه ، ولا قدر الشقاء على خلقه ، لانه لايجوز أن يتمدح بأنه قدر الضلال[3] عن الحق ، وكل ضلال عن الحق فمن تقديره ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فصل

[معنى خلق الاشياء كلها][4]

فان قيل :فما معنى قول الله تعالى :« خالق كل شيء »[5] و« خلق كل شيء »[6]؟ قيل لـه : انما أراد به خلق السماوات والارض والليل والنهار والجن والانس وما اشبه ذلك[ولم يرد أنه خلق الكفر والظلم والكذب ، اذ لم يجز أن يكون ظالماً ولا كاذباً ، عزوجل][7] وقد بين الله لنا صنعه فقال: « صنع الله الذي أتقن

---

١) سورة غافر : ٢٠ .
٢) سورة الاعلى : ١-٣ .
٣) في أ : بأنه قدر الهدى وقدر الضلال .
٤) الزيادة من مط .
٥) سورة الانعام : ١٠٢ .
٦) سورة الانعام : ١٠١ .
٧) الزيادة من أ .

كل شيء » [1] فلما لم يكن الكفر بمتقن ولا بمحكم ولابحق ولابعدل علمنا أنه ليس من صنعه ، لانه متفاوت متناقض ، وقد قال تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » [2] فأخبر أن الاختلاف لايكون من عنده ، وقال تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » [3] والكفر متفاوت [فاسد] [4] متناقض ، فثبت انه ليس من خلقه وانه عمل الكافرين .

فان قال : فلم زعمتم ان قوله « كل شيء » قد خرج منه بعض الأشياء ؟ قيل له : قد قال الله تعالى : « ان زلزلة الساعة شيء عظيم » [5] ولم يخلقها ، والايمان الذي أمر الله به فرعون والكافرين لم يخلقه ، فثبت أن الاشياء [أطلق] [6] في بعض دون بعض ، وقد قال الله تعالى : « وأوتيت من كل شيء » [7] ولم تؤت من ملك سليمان شيئاً ، وانما أراد مما اوتيته [هي] [8] دون مالم تؤته .

وقال تعالى : « يجبى اليه ثمرات كل شيء » [9] وقد علمنا أنه لم تجب [10] اليه ثمرات الشرق والغرب ، وانما أراد مما يجبى [اليه و] [11] كذلك قوله تعالى:

---

١) سورة : النمل : ٨٨ .

٢) سورة : النساء : ٨٢ .

٣) سورة الملك : ٣ .

٤) الزيادة من أ .

٥) سورة الحج : ١ .

٦) الزيادة من أ وفوقها «ظ» .

٧) سورة النمل : ٢٣ .

٨) الزيادة من مط .

٩) سورة القصص : ٥٧ .

١٠) في مط : لم يجب .

١١) الزيادة من مط .

« خالق كل شيء »[١] مما خلقه تعالى .

وقال تعالى : « فتحنا عليهم أبواب كل شيء »[٢] وانما أراد ما فتح عليهم .

وقال تعالى : « تبياناً لكل شيء »[٣] ولم يرد تبيان عدد النجوم وعدد الانس والجن ، وانما أراد تبيان[٤] كل شيء مما بالخلق اليه حاجة في دينهم .

وقال تعالى: «تدمر كل شيء بأمر ربها »[٥] ولم يرد أنها[٦] تدمر هوداً والذين معه ، وانما [أراد][٧] تدمر من أرسلت لتدميره .

وقال : « أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء »[٨] ولم ينطق الحجارة والحركة والسكون[٩] .

وما أشبه ما ذكرناه كثير ،كذلك أيضاً قوله : « بديع السماوات والارض أنى يكون لـه ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء فقدره تقديراً »[١٠] اراد الازواج والاولاد والاجسام ، لان هذا رد على النصـارى ولـم يرد الفجور والفسوق .

---

١) سورة الانعام : ١٠٢ .

٢) سورة الانعام : ٤٤ .

٣) سورة النحل : ٨٢ .

٤) في مط : بيان .

٥) سورة الاحقاف : ٢٥ .

٦) في مط : أنه .

٧) الزيادة من مط .

٨) سورة فصلت : ٢١ .

٩) في أ : والحركات والسكنات .

١٠) سورة الانعام : ١٠١ .

وما ذكرناه في اللغة مشهور ، قال لبيد بن ربيعة [1] :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل   وكـل نعيم لا محالـة زائـل

ولم يرد أن الحق باطل ، ولا أن شعره هذا [الذي قاله][2] باطل، وقد قال كل شيء وانما اراد بعض الاشياء ، ويقول القائل[3] «دخلنا المشرق فاشترينا كل شيء ورأينا كل شيء حسن »، وانما أراد كل شيء مما اشتروا ، وكل شيء مما رأوا [4] ، وكذا « خالق كل شيء » مما خلقه لا مما فعله عباده ، لانه لايجوز أن يفعل العباد خلق رب العالمين .

ويقال لهم: ان كان يجب أن تكون أعمال العباد خلق الله لقول الله: « خالق كل شيء » [5] ، فيجب أن يكون كل خلقه حسناً لقوله : « الذي أحسن كل شيء خلقه » [6] فيجب أن يكون الشرك حسناً ، وكذلك الظلم والكـذب والفجور والفسوق ، لان ذلك عندهم خلق الله تعالى .

فان قالوا :ان قوله « الذي أحسن كل شيء خلقه » انما أراد بعض الاشياء. قيل لهم:فما أنكرتم أن يكون قوله « خالق كل شيء » انما وقع على كل شيء

---

١) لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر ، قدم على النبى (ص) سنة وفدقومه فأسلم وحسن اسلامه ، وترك الشعر منذ اسلامه حتى موته ، وعمرطويلا ومات وهوابن مائة واربعين سنة، وقيل انه مات وهوابن سبع وخمسين ومائة سنة، وكانت وفاته سنة ٤١ هـ على اشهر الاقوال (الاستيعاب : ١٣٣٥/٣) .

٢) الزيادة من أ .

٣) فى أ : ويقول قائل .

٤) فى مط : أرادوا .

٥) سورة الانعام : ١٠٢ .

٦) سورة السجدة : ٧ .

خلقه دون مالم يخلقه[1] مما يقدر عليه ويعلم أنه لايفعله ومما يفعله عباده من الطاعة والمعصية .

فان قال قائل : فما معنى قول الله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون »[2] ؟ قيل له : انما خبر الله عن ابراهيم أنه حاج قومه فقال : [لهم] [3] « لم تعبدون مـا تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون » يقول نحتم خشباً ثم عبدتموه ، على وجه التوبيخ .ثم قال : « والله خلقكم وما تعملون» يقول خلقكم وخلق الخشب الذي عملتموه صنماً، فسمى الصنم الذي عملوه عملا لهم [4] وان كان الذي حل فيه من التصوير عملهم .

ولما ذكرناه نظائر من القرآن واللغة : فأما القرآن فقوله تعالى : « يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات »[5] وانما عملهم حل في هذه الامور، فأما الحجارة فهي خلق الله لا فاعل لها غيره .

ومن ذلك أيضاً قوله : « واصنع الفلك بأعيننا »[6] فالخشب خلق الله والعباد نجروه وعملوه فلكاً وسفناً .

ومن ذلك أيضاً قوله:« أن اعمل سابغات »[7] فالحديد خلق الله ولكن العباد عملوه دروعاً ، فعمل داود عليه السلام حل في الحديد والحديد خلق الله .

وقال في الحية « تلقف ماصنعوا »[8] وانما يريد أنها تلقف الحبال والعصي

---

١) في أ : ما خلق .
٢) سورة الصافات :٩٦ .
٣) الزيادة من أ .
٤) في مط : عملا له .
٥) سورة سبأ: ١٣ .
٦) سورة هود : ٣٧ .
٧) سورة سبأ : ١١ .
٨) سورة طه : ٦٩ .

التي فيهـا صنعهم ، فكذلك قال : « لم تعبدون ما تنحتون . والله خلقكم ومـا تعملون»[1] خلق الخشب الذي يعملون منه صنماً لا أن العباد[2] عملوا خلق الله [و][3] لاان الله خلق أعمالهم .

وقد يقول القائل : فلان يعمل الطين لبناً ، ويعمل الحديد أقفالا ، ويعمل الخوص زبلا . كذلك أيضاً عملوا الخشب أصناماً ، فجاز أن يقال : انها عمـل لهم ، كما قيل : انهم يعملون الخوص والطين والحديد .

ثم انا نرد هذا الكلام عليهم فنقول لهم : اذا زعمتم أن كفرهم خلقهم[4] ، وقال ابراهيم محتجاً عليهم في قولهم ان الله خلق اعمالهم فلم ما قالوا: ياابراهيم ان كان الله خلق فينا الكفر ولا يمكننا ان نرد ما خلق الله فينا ولـو قدرنا لفعلنا ، وأنت تأمرنا بأمر لايكون خلق الله فينا، فانما تأمرنا بأن لايخلق الله خلقه حاشا الله[5] ، بل قالوا ذلك لتبين ابراهيم عليه السلام أن كفرهم غير خلق الله، ولو كان خلق الله ما عذبوا عليه ولا نهوا عنه ، وقد قال الله تعالى : « لاتبديل لخلق الله »[6] فلو كان خلق الله ما بدل وما عذبوا الا على كفرهم الذي هـو غير خلق الله وان خلق الله حكمة وصواب ، والكفر سفه وخطأ ، فثبت أن الحكمة غيـر السفه ، والخطأ غير الصواب .

ولولا كراهة طول الكتاب وخوف ملال القارىء لاتينا على كـل شيء مما

---

١) سورة الصافات : ٩٦ .

٢) في مط :الا أن .

٣) الزيادة من أ .

٤) في مط : خلق لهم .

٥) في مط : بأن لايخلق الله خلقاً ماشاء الله .

٦) سورة الروم : ٣٠ .

يسألون عنه من المتشابه في تصحيح مذهبهم . وفيما ذكرناه كفاية ودلالة على ما لم نذكره ، على أنا قد اودعنا كتابنا (صفوة النظر) من ذلك مافيه بلاغ. والحمد لله رب العالمين .

فصل

[معنى الهدى في المؤمن والكافر] [1]

ان سأل سائل فقال : أتقولون ان الله هدى الكافر؟ قيل له: ان الهدى على وجهين: هدى هو دليل وبيان، فقد هدى الله بهذا الهدى كل مكلف بالغ الكافر منهم والمؤمن، وهدى هو الثواب والنجاة فلايفعل الله هذا الهدى الا بالمؤمنين المطيعين القائلين عن الله رسوله .

فان قال [2] : فما الدليل على أن الهدى ما تقولون ؟ قيل : الدليل على أن الهدى قديكون بمعنى الدليل قوله تعالى في كتابه: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » [3] فقد خبر الله تعالى أنه هدى ثمود الكفار فلم يهتدوا فأخذتهم الصاعقة بكفرهم .

وقال الله تعالى : « ان هي الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان تتبعون الا للظن ومـا تهوي الانفس ولقـد جاءهم من ربهم الهدى » [4] يعني الدلالة والبيان .

وقال تعالى: «وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى» [5] يعني الدلالة

---

١) العنوان من مط .

٢) في مط : فان قالوا .

٣) سورة فصلت : ١٧ .

٤) سورة النجم : ٢٣ .

٥) سورة الاسراء : ٩٤ .

والبيان .

وقال : « انا هديناه السبيل » [1] يعني دللناه على الطريق .

وقال تعالى: « وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم قوماً مجرمين» [2] فخبروا في الاخرة أن الهدى اتى من الله للكفار فلم يهتدوا ، وانما هدى الله هدى الدليل .

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « وانك لتهدي الى صراط مستقيم » [3] يعني تدل وتبين ، وما اشبه ما ذكرناه اكثر من أن نأتي عليه .

وأما ما يدل على ذلك من اللغة: فان كل من دل على شيء فقد هدى اليه، فلما كان الله تعالى قد دل الكفار على الايمان ثبت أنه قد هداهم الى الايمان .

فأما هدى الثواب الذي لا يفعله الله بالكافرين فمنه قوله تعالى : « والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم» [4] وانما يهديهم بعد القتل بأن ينجيهم ويثيبهم .

وقال : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم جنات تجري من تحتهم الانهار » [5] انما يهديهم بايمانهم بأن ينجيهم ويثيبهم .

وقال : « يهدي الله من اتبع رضوانه سبل السلام » [6] وقال : « يهدي اليه من أناب » [7] يعني من تاب .

---

١) سورة الانسان : ٣ .

٢) سورة سبأ : ٣٢ .

٣) سورة الشورى : ٥٢ .

٤) سورة محمد : ٤-٥ .

٥) سورة يونس : ٩ .

٦) سورة المائدة : ١٦ .

٧) سورة الرعد : ٢٧ .

فهذا الهدى وماأشبه لا يفعله الله الا بالمؤمنين القائلين بالحق[1] ، فأما قرين الدليل فقد هدى الله الخلق أجمعين . وكلما سئلت عن آية من الهدى من الله تعالى فردها الى هذين الاصلين ، فانه لا يخلو من أن يكون على ما ذكرناه ، ولولا كراهة التطويل لسألنا أنفسنا عن آية آية مما يحتاج الى البيان ، وفي هذه الجملة دليل على ما نسأل عنه .

فصل

[حقيقة الاضلال منه سبحانه] [2]

فان قيل : افتقولون أن الله تعالى أضل الكافرين ؟ قيل له : نقول ان الله أضلهم ـ بأن عاقبهم واهلكهم عقوبة لهم على كفرهم ـ ولم يضلهم عن الحق ولا أضلهم بأن افسدهم ، جل وعز عن ذلك .

فان قالوا : لم زعمتم أن الضلال قد يكون عقاباً ؟ قيل لهم : قد قال الله تعالى: « ان المجرمين في ضلال وسعر»[3] يعني في هلاك، وسعر يعني سعر النار فيهم ، اذ ليس في ضلال هو كفر أوفسق ، لان التكليف زائل في الآخرة ، وقد بين الله تعالى من يضل فقال : « ويضل الله الظالمين »[4] وقال : « يضل الله الكافرين »[5] وقال : « وما يضل به الا الفاسقين»[6] وقال: «كذلك يضل الله من

---

١) في أ : القائلين للحق .

٢) العنوان من مط .

٣) سورة القمر : ٤٧ .

٤) سورة ابراهيم : ٢٧ .

٥) سورة غافر : ٧٤ .

٦) سورة البقرة : ٢٦ .

هو مسرف مرتاب »[1] .

ثم أوضح الامر وخبر أنه لا يضل الا بعد اقامة الحجة ، فقال: « وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون »[2] فأخبر أنه لا يضل أحداً حتىيقيم الحجة عليه، فاذا ضل عن الحق بعد البيان والهدى والدلالة أضله الله حينئذ ، بأن اهلكه وعاقبه .

وأما الاضلال الذي ننفيه عن ربنا تعالى فهو ما أضافه الله الى غيره فقال : « وأضلهم السامري » [3] يقول : اضلهم بأن دعاهم الى عبادة العجل .

وقال : « وأضل فرعون قومه وما هدى» [4] يريد أضلهم بأن قال: «انا ربكم الاعلى » وامرهم بالكفر ودعى اليه ، والله لا يأمر بعبادة غيره ولا يفسد عباده .

وقال: «فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين » [5] .

وقال : « ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون »[6] يريد أنه افسد وغر وخدع ، والله لا يغر [7] العباد ولا يظهر في الارض الفساد .

وقال يخبر عن أهل النار : انهم يقولون « ما أضلنا الا المجرمون»[8] يريد ماأفسدنا ولا غيرنا ولابين الكفر والمعاصي الاالمجرمون، ولم يقولوا ماأضلنا

---

١) سورة غافر : ٣٤ .

٢) سورة التوبة : ١١٥ .

٣) سورة طه : ٨٥ .

٤) سورة طه : ٧٩ .

٥) سورة القصص : ١٥ .

٦) سورة يس : ٦٢ .

٧) في مط : لايضر .

٨) سورة الشعراء : ٩٩ .

الا رب العالمين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

وكل اضلال اضل الله به العباد فانما هو عقوبة[1] لهم على كفرهم وفسقهم.

وأما من خالفنا ،زعموا ان الله تعالى يبتدىء كثيراً من عباده بالاضلال عن الحق ابتداءاً من غير عمل ، وان قولهم ان عبداً مجتهداً في طاعة الله قد عبده مائة عام ثم لا يأمنه أن يضله عماهو عليه من طاعة[2] فيخلق فيه من الكفر ،ويزين عنده الباطل ، وان يعبد غيره مائة عام ويكفر به ثم لا يأمن ان يخلق في قلبه الايمان فينقله عما هو عليه ، فليس يثق[3] وليه بولايته ، ولا يرهب عدوه من عداوته .

فصل

[عود على بدء في معنى الهدى][4]

فان سأل سائل فقال : ما معنى قوله : « انك لا تهدي من احببت »[5] . قيل له : معنى ذلك انك لا تنجي من العذاب من أحببت . . .[6] لان النبي صلى الله عليه وآله كان حريصاً على نجاة أقاربه بل كل من دعاه .

فان قيل : فلم زعمتم أن هذا [هو][7] تأويل الاية ؟ قيل له: لما كان الله قد هداهم - بأن دلهم على الايمان - علمنا أنه لم يهدهم بهدى الثواب ، وقد بين

---

١) في أ : عقوبته لهم .
٢) في أ : من طاعته .
٣) في أ : فليس يبقى .
٤) العنوان من مط .
٥) سورة القصص : ٥٦ .
٦) هنا في أجاءت كلمة « ولا » ثم فراغ بمقدار كلمات .
٧) الزيادة من أ .

الله تعالى أن الهدى بمعنى الدليل قد هداهم به ، فقال « ان يتبعون الا الظن وما تهوي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى »[1] يعني الدلالة والبيان .

فان قيل :فما معنى قوله « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء »؟[2]

قيل له: انما أراد به ليس عليك نجاتهم ، ماعليك الا البلاغ ولكن الله ينجي من يشاء .

فان قيل : فلم قلتم هذا ؟ قيل له[3] : لما أخبر الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هدى الكافر فقال: « انك لتهدي الى صراط مستقيم»[4] وانما يريد انك تدل، فلما كان قد دل المؤمن والكافر كان قد هدى الكافر والمؤمن ، فعلمنا انه اراد بهذه الاية هدى الثواب والنجاة ، فقس على ما ذكرناه جميع مابسأل عنه من امثال هذه الاية .

« بــاب »

(الكلام في الارادة وحقيقتها)

فان سأل سائل فقال : أتقولون ان الله تعالى أراد الايمان من جميع الخلق المأمورين والمنهيين او اراد ذلك من بعضهم دون بعض؟ قيل له: بل اراد ذلك من جميع الخلق ارادة بلوى واختبار ، ولم يرد ارادة اجبار واضطرار ، وقد قال الله تعالى: «كونوا قوامين بالقسط»[5] وقال : «كونوا قردة خاسئين»[6] فأراد

---

١) سورة النجم : ٢٣ .

٢) سورة البقرة : ٢٧٢ .

٣) في مط : قيل لهم .

٤) سورة الشورى : ٥٢ .

٥) سورة النساء : ١٣٥ .

٦) سورة البقرة : ٦٥ .

أن يجعلهم هو قردة ، ارادة اجبار واضطرار فكانوا كلهم كذلك ، وأراد أن يقوموا بالقسط ارادة بلوى واختبار، فلو أراد أن يكونوا قوامين بالقسط [1] كما اراد أن يكونوا قردة خاسئين، لكانوا كلهم قوامين شاؤا أو أبوا، ولكن لوفعل ذلك ما استحقوا حمداً ولا أجراً .

ومما يدل من القرآن على ان الله أراد بخلقه الخير والصلاح ولم يرد بهم الكفر والضلال قوله سبحانه : «يريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة» [2] فأخبر ان ما اراد غير ما ارادوا .

وقال: «يريدالله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم» [3] فأخبر ان ارادته في خلقه الهداية والتوبة والبيان ثم قال: « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً» [4] فأخبر ان ما اراد الله منهم [غير ما أراد] [5] غيره من الميل العظيم .

وقال : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره » [6] فأخبر انه انما يأبى ما اراده العباد من اطفاء نوره .

وقال : « وما الله يريد ظلماً للعباد» [7] وقال « وما الله يريد ظلماً للعالمين » [8] فأخبر انه تعالى لايريد الظلم بوجه من الوجوه ،كما انه لما قال : « ولايرضى

---

١) في مط : أن يقوموا بالقسط .
٢) سورة الانفال : ٦٧ .
٣) سورة النساء : ٢٦ .
٤) سورة النساء : ٢٧ .
٥) الزيادة من أ .
٦) سورة التوبة : ٣٢ .
٧) سورة غافر : ٣١ .
٨) سورة آل عمران : ١٠٨ .

لعباده الكفر»[1] لم يجز أن يرضى [به][2] بوجه من الوجوه .

وكذلك لما قال : « ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون »[3] لم يجز أن يأمر بالفحشاء بوجه من الوجوه، ولو جاز أن يريد الظلم وهو يقول « ومـا الله يريد ظلماً للعالمين » لجاز أن يرضى بالكفر ويحب الفساد ويأمر بالفحشاء ، مع هذه الايات ، فلما لم يجز ذلك لم يجز أن يريد الظلم .

ومما يدل على أن الله تعالى لم يرد الكفر والفجور : انا وجدنا المريد لشتم نفسه سفيهاً[4] غير حكيم ، فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا انه لا يريد شتمه ولا سوء الثناء عليه .

وأيضاً فان الكفار اذا فعلوا ماأراد من الكفر كانوا محسنين، لان من فعل ما اراد الله تعالى فقد أحسن ، فلما[5] لم يجز أن يكون [الكافر][6] محسناً في شتمه الله ومعصيته له علمنا أنه لم يفعل ما اراد الله .

وأيضاً فانه لو جاز أن يريد الكفر به ويكون بذلك ممدوحاً لجاز أن يحب الكفر ويرضى به، ويكون بذلك حكيماً ممدوحاً ، فلما لم يجز أن يرضى بالكفر ولا يحبه لم يجز أن يريده .

وايضاً فان من أمر العباد بما لا يريده فهو جـاهل ، فلمـا كان ربنا أحكم الحاكمين علمنا انه لم يأمر بشيء لايريده، لان من امر بمدحه ولم يرد أن يفعله ونهى عن شتمه واراد أن يفعل فهو جاهل ناقص، فلما كان الله احكم الحاكمين

---

١) سورة الزمر : ٧ .

٢) الزيادة من مط .

٣) سورة الاعراف : ٢٨ .

٤) فى مط : لشتمه نفسه سفيه .

٥) فى مط : ظلماً لم .

٦) الزيادة من أ .

علمنا انه لايريد ان يشتم ولا يثنى عليه بسوء الثناء. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

فصل

[في] [1] شبهة لهم [في الارادة] [2]

قالوا: لوأراد الله سبحانه منزيد الايمان فوقع خلافه ـ وهو مراد الشيطان والعبد ـ لكانا قد عجزا الله ووجب أن يكونا أقدر منه .

والجواب عن ذلك : أنه يقال لهم : لم قلتم ذلك ؟ فان قالوا : لانا نعلم ان جند السلطان لو فعلوا مالا يريده لدل على عجزه وعدم قدرته [3] .

قيل لهم: انما صح ذلك لان السلطان لم يكن ممن يصح منه التكليف أو ممن له قدرة علىالانتصاف منهم فيأي وقتاراد ولا يخاف الفوت، ولم يكن أيضاً ممن يعلم مقدار الحسنة والجزاء عليها والسيئة والاخذ بها .

وايضاً فان السلطان يتألم اذا لم يقع مراده ويسر بوقوعه ، وكل هذه الاوصاف منتفية عن القديم تعالي، ففرق[4] بين الامرين ، ولم يكن للقياس الذي اعتمدوا عليه معنى فيهذا الموضع، وانما يجب أن يجمع بين المتساويين بعلة والامر هاهنا بخلاف ذلك .

ثم يقال لهم: انما كان[5] يجب أن يكون عاجزاً لو أراد منهم الطاعة ارادة

---

١) الزيادة من مط .

٢) الزيادة منا .

٣) في أ : وقلة قدرته .

٤) في أ : فافترق .

٥) في أ : ان كان .

اضطرار واجبارثم لم تقع، فأما اذا اراد[1] ارادة البلوى والاختبار فهذا مالا يغبى الا على المسكين ، واذا كان ذلك كله فلا يكون منا التعجيز لله تعالى ، اذ فعل العباد م ـ الا يريده من الكفر ولم يفعلوا ما اراده من الايمان ، لانـه لم يرد ان يحملهم عليه حملا ويلجئهم اليه الجاء ، فيكون منهم على غير سبيل التطوع .

وقد بين الله [ذلك] [2] في كتابه فقال : « ان نشأ ننزل عليهم من السماءآية فظلت أعناقهم لها خاضعين » [3] فأخبر أنه لوشـاء لاحدث آية يخضع عندهـا الخلق ، ولكنه لو فعل ذلك ما استحقوا حمداً ولا جزاء[4] ولا كرامة ولا مدحاً ، لان الملجأ لايستحق حمداً ولا جزاء، وانما [5] يستحق ذلك المختار المستطيع وقد بين الله ذلك فقال : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بماكنابه مشركين »[6] وقال الله عزوجل: « فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوابأسنا » [7] فأخبر انه لا ينفع الايمان اذا كان [8] العذاب والالجاء .

وقال تعالى : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمـانهـا لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في ايمانها خيراً »[9] فأخبر أنه لا ينفع الايمان في حال الالجـاء .

---

١) فى أ : وقد أراد .

٢) الزيادة من أ .

٣) سورة الشعراء : ٤ .

٤) فى أ : ولاحمداً وجزاء .

٥) فى أ : لانه انما .

٦) سورة غافر : ٨٤ .

٧) سورة غافر : ٨٥ .

٨) فى مط : اذكان .

٩) سورة الانعام : ١٥٨ .

وقال عزوجل: «حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لااله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين »[1] .

وقال الله تعالى: «آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين»[2] فأخبر أنه لا ينفعه الايمان في وقت الالجاء والاكراه .

وقال عزوجل: «انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار»[3] فأخبر انه لاتنفع التوبة في حال المعاينة، وما اشبه ماذكرناه كثير .

ثم يقال لهم: فاذا كان العبد بفعله مالم يرد الله قد أعجزه فيجب أن يكون بفعله ما يريده قد أقدره، ومن انتهى قوله الى هذا الحد فقد استغني عن جداله وربحت مؤنته .

فصل

[الايمان وحقيقة المشيئة][4]

فان سألوا عن معنى قوله تعالى: « ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »[5] .

قيل لهم: معنى ذلك لو شاء ربك لالجأهم الى الايمان ، لكنه لو فعل ذلك

---

١) سورة يونس : ٩٠ .
٢) سورة يونس : ٩١ .
٣) سورة النساء : ١٧–١٨ .
٤) الزيادة من مط .
٥) سورة يونس : ٩٩ .

لزال التكليف ، فلم يشأ ذلك بل شاء ان يطيعوا على وجه التطوع والايثار لا على وجه الاجبار والاضطرار ، وقد بين الله ذلك فقال : « افأنت تكره الناس» يريد اني انا أقدرعلى الأكراه منك ولكنه « لااكراه في الدين قدتبين الرشد من الغي »[1] وكذلك الجواب في قوله « ولو شاء ربك ما فعلوه »[2] ، « ولو شاء لهداهم اجمعين »[3] وقوله : « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جائتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر »[4] ولو شاء لحال بينهم وبين ذلك . ولو فعل ذلك لزال التكليف عن العباد ، لانه لا يكون الامر والنهي الا مع الاختيار لا مع الالجاء[5] والاضطرار .

وقد بين الله [ذلك][6] بما ذكرنا من قوله « ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين »[7] فأخبر أنه لو شاء لاكرههم على الايمان .

وقد بين ذلك ما ذكرناه من قصة فرعون وغيره انـه لم ينفعهم الايمان في وقت الاكراه .

وقد بين الله في كتابه العزيز أنه لم يشأ الشرك، وكذب الذين اضافوا اليه ذلك، فقال تعالى : « سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنا ولاآباؤنا ولا حرمنا من شيء»[8] فأخبروا أنهم[9] انما اشركوا بمشيئة الله تعالى فلذلك كذبهم؛

---

١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

٢) سورة الانعام : ١١٢ .

٣) سورة النحل : ٩ .

٤) سورة البقرة : ٢٥٣ .

٥) في أ : لامع الاجبار .

٦) الزيادة من أ .

٧) سورة الشعراء : ٤ .

٨) سورة الانعام : ١٤٨ .

٩) في مط : انه .

ولو كانوا أرادوا أنه لو شاء الله لحال بيننا وبين الايمان لماكذبهم الله ، قال الله تكذيباً لهم: «وكذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ـ يعني عذابنا ـ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ـ يعني هل عندكم من علم أن الله يشاء الشرك ثم قال ـ ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون »[1][يعني تكذبون][2] كقوله « قتل الخراصون »[3] .

وقال عزوجل: «مالهم بذلك من علم انهم الا يخرصون»[4] يعني يكذبون.

وقال عزوجل: «وقال الذين أشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين »[5] خبر أن الرسل قد دعت الى الايمان ، فلو كان الله تعالى شاء الشرك لكانت الرسل قد دعت خلاف مـا شاء الله ، فعلمنا ان الله لم يشأ الشرك .

فان قال بعض الاغبياء : فهل يشاء العبد شيئاً اوهل تكون للعبد ارادة ؟ قيل له : نعم قد شاء ما امكنه الله من مشيئته ويريد ما اهره الله بارادته ، فالقوة على الارادة فعل الله والارادة فعل العبد .

والدليل على ذلك قول الله تعالى : «قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها »[6] .

---

١) سورة الانعام : ١٤٨ .
٢) الزيادة من أ .
٣) سورة الذاريات : ١٠ .
٤) سورة الزخرف : ٣٠ .
٥) سورة النحل : ٣٥ .
٦) سورة الكهف : ١٩ .

وقال تعالى : « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا »[1] وقال : « فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا »[2] وقال : « ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء »[3] .

وقال : « وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوء منها حيث يشاء »[4] .

وقال : « فكلا من حيث شئتما »[5] .

وقال : « فأتوا حرثكم أنى شئتم »[6] .

وقال : « لوشئت لاتخذت عليه اجراً »[7] .

وقال فيما بين أن العبد قديريد مايكره الله من ارادته فقال: « تريدون عرض الدنيا والله يريد الأخرة »[8] .

وقال : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً »[9] .

وقال : « ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة »[10] فـأخبر أنهم لو أرادوا لفعلوا كما فعل من اراد الخروج .

وقال : « يريدون أن يبدلوا كلام الله »[11] .

---

١) سورة المزمل : ١٩ .
٢) سورة النبأ : ٣٩ .
٣) سورة الاحزاب : ٥١ .
٤) سورة يوسف : ٦٥ .
٥) سورة الاعراف : ١٩ .
٦) سورة البقرة : ٢٢٨ .
٧) سورة الكهف : ٧٧ .
٨) سورة الانفال : ٦٧ .
٩) سورة النساء : ٢٧ .
١٠) سورة التوبة : ٤٦ .
١١) سورة الفتح : ١٥ .

وقال : « يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً »[1] .

وقال: « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء»[2] . وما اشبه ما ذكرنا اكثر من أن نأتي عليه في هذا الموضع .

فان قال : فما معنى قوله : « وما تشاؤن الا أن يشاء الله » .

قيل له: ان الله ذكر هذا المعنى في موضعين، وقد بينهما ودل عليهما بأوضح دليل واشفى برهان على انها مشيئته في الطاعة ، فقال : « لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين»[3] فهو عز وجل شاء الاستقامة ولم يشأ الاعوجاج ولا الكفر، وقال في موضع آخر « ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا . وما تشاؤن الا ان يشاء الله »[4] فالله قد شاء اتخاذ السبيل ولم يشأ العباد ذلك الا وقد شاء الله لهم ، فأما الصد عن السبيل وصرف العباد عن الطاعة فلم يشأ عزوجل .

ويقال لهم :أليس المريد لشتمه غير حكيم؟ فمن قولهم :نعم. قيل لهم :او ليس المخبر بالكذب كاذباً ؟ فمن قولهم : نعم . قيل لهم : وقد زعمتم ان الله يريد شتمه ويكون حكيماً فلابد من الاقرار بذلك او يتركوا قولهم .

ويقال لهم :فماانكرتم ان يخبر بالكذب ولايكون كاذباً؟ فان منعوا من ذلك قيل لهم: ولا يجب أن يكون حكيماً بارادة السفه وارادة شتم نفسه، ولا يجدون الى الفصل سبيلا . فان اجازوا على الله أن يخبر بالكذب لم يأمنوا بعد اخباره عن البعث والنشور والجنة والنار انها كلها كذب ويكون بذلك صادقاً ، ولا يجدون من الخروج عن هذا الكلام سبيلا .

---

١) سورة النساء : ٦٠ .

٢) سورة المائدة : ٩١ .

٣) سورة التكوير : ٢٩ .

٤) سورة الانسان : ٣٠ .

ويقال لهم: فماتريدون انتم من الكفار؟ فان قالوا: نريد من الكفار الكفر، فقد أقروا على أنفسهم بأن يريدوا ان يكفر بالله ويجب عليهم ان يجيزوا ذلك على النبي صلى الله عليه وآله بأن يكون مريداً للكفر[1] بالله تعالى، وهذا غاية سوء الثناء عليه .

وان قالوا : ان الذي نريده من الكفار الايمان . قيل لهم : فأيما افضل ما اردتم من الايمان اوما اراد الله من الكفر؟ فان قالوا: ما اراد الله خير مما اردنا من الايمان ، فقد زعموا ان الكفر خير من الايمان . وان قالوا: ان ما اردنا من الايمان خير مما اراده الله من الكفر، فقد زعموا أنهم اولى بالخير والفضل من الله ، وكفاهم بذلك خزياً .

فيقال لهم : فما يجب على العباد يجب عليهم ان يفعلوا ما تريدون انتم او ما يريد الله ؟ فان قالوا: مايريد الله ، فقد زعموا أن على اكثر العباد ان يكفروا، اذ كان الله يريد لهم الكفر . وان قالوا : انه يجب على العباد أن يفعلوا ما نريد من الايمان ولا يفعلوا ما يريد الله من الكفر ، فقد زعموا أن اتباع ما ارادوه اوجب على الخلق من اتباع ما اراد الله ، وكفاهم بهذا قبحاً .

ولولا كراهة طول الكتاب لسألناهم في قولهم ان الله تعالى اراد المعاصي عن مسائل كثيرة يتبين فيها فساد قولهم، وفيما ذكرناه كفاية، والحمد لله رب العالمين.

فصل

[الاخبار المسددة لمذهب العدلية] [2]

ومما جاء من الحديث [3] ما يصحح مذهبنا في القضاء والمشيئة وغير ذلك

---

١) في مط : مريد الكفر .

٢) الزيادة من مط .

٣) في أ : في الحديث .

مما ذكرنا، فمن ذلك ماروي[1] عنه صلى الله عليه وآله انه قال: «لا يؤمن احدكم حتى يرضى بقدر الله تعالى» . وهذا مصحح لقولنا ، لانـا بقدر الله راضوان وبالكفر غير راضين .

وروي عن عبدالله بن شداد[2] عنه صلى الله عليه وآله انه كان يقول في دعائه: «اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لااحب تعجيل مااخرت، ولا تأخير ماعجلت» والنبي صلى الله عليه وآله لايجوز أن يرضى بالكفر ولا بالظلم.

وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « سيكون في آخر هذه الامة قوم يعملون بالمعاصي حتى يقولون هي من الله قضاء وقدر، فاذا لقيتموهم فأعلموهم اني منهم بريء » .

وروي عنه انه قال له رجل: بأبي انت وامي متى يرحم الله عباده ومتى يعذب الله عباده ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « يرحم الله عباده اذا عملوا بـالمعاصي فقالوا [هي منا ، ويعذب الله عباده اذا عملوا بالمعاصي فقـالوا] [3] هي من الله قضاء وقدر » .

وقد روي عن عمر بن الخطاب انه اتي بسارق فقال: « ماحملك على هذا؟ فقال [4] قضى الله وقدره ، فضربه عمر ثلاثين سوطاً ثم قطع يده فقال : قطعت يدك بسرقتك وضربتك بكذبك على الله تعالى » . وهذا خبر قد روتـه جميع

---

١) في مط : من ذلك ما ذكرناه .

٢) عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي عربي كوفي من خواص اميرالمؤمنين عليه السلام وكان من كبار التابعين وثقاتهم، وقال لما منع بنو أمية عن التحدث بفضائل علي عليه السلام: وددت أن أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام وان عنقي ضرب بالسيف ، قتل سنة ٨٢ هـ (منتهى المقال : ١٨٦) .

٣) الزيادة من أ .

٤) في مط : قضاء الله .

الحشوية ومعظم رواة العامة ، ونقله أحمد بن حنبل [1] وغيره من الرواة .

وروي عن الاصبغ بن نباتة [2] قال : لما رجع امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام من صفين قام اليه شيخ فقال : ياامير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء وقدر ؟ فقال عليه السلام [له] [3] : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطأنا موطئاً ولاهبطنا وادياً ولا علونا تلعة الا بقضاء وقدر. فقال [له] [3] الشيخ : عند الله أحتسب عنائي، والله ما ان أرى لي من الاجر شيئاً . فقال عليه السلام [له] [3] : بلى ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم بمسيركم [4] وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا اليها مضطرين . فقال : وكيف لم نكن مضطرين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ومنصرفنا ؟ فقال عليه السلام [له] : [5] ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً ، لو كان ذلك كذلك لبطل [6] الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله والنهي، ولم تكن [تأتي] [7] لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ولا المسي اولى

---

١) ابوعبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي ، امام المذهب الحنبلي وصاحب المسند المشهور، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ (الاعلام للزركلي: ١٩٢/١) .

٢) كان الاصبغ من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام ، وعمر بعده ، وروى عهد مالك الاشتر الذي عهده اليه امير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر ، وروى وصية امير المؤمنين عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية (فهرست الطوسي : ٣٧) .

٣) الزيادات من أ .

٤) في أ : بمصيركم .

٥) الزيادة من أ .

٦) في أ : بطل .

٧) الزيادة من أ .

بالذم من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان، وجندالشيطان، وخصماء الرحمن، وشهود الزور والبهتـان ، وأهـل العمى عن الصواب ، وهم قدرية هذه الامة ومجوسها، ان الله امر تخييراً، ونهي تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يكلف عسيراً، واعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل لعباً، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولم يخلق السماوات والارض ومـا بينهمـا باطلا «ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار»[1] . فقال الشيخ: فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا [2] الا بهما؟ فقـال عليه السلام : ذلك الامرمن الله والحكم ،ثم تلا هذه الاية «وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً»[3] فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول :

أنت الامام الذي نرجو بطـاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك بـالاحسـان احسانا

وروي عن جابر [4] عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: « يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون : الله قدرها علينا ، الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله » .

وروي أن رجلا جاء الى الحسن البصري[5] فقال: ياابا سعيد اني طلقت امرأتي ثلاثاً فهل لي من مخرج ؟ فقال : ويحك ما حملك على ذلك . قال : القضاء .

---

١) سورة ص : ٢١ .
٢) في أ : ماصرنا .
٣) سورة الاسراء : ٢٣ .
٤) جابر بن عبدالله بن عمر بن حزام الانصاري ، شهد بدراً وثمانية عشر غزوة مع النبي (ص) ومات سنة ثمان وسبعين (رجال الطوسي : ١٢) .
٥) ترجم له سابقاً .

فقال [له] [1] الحسن : كذبت على ربك وبانت منك امرأتك .

وروي ان الحسن البصري مر على فضيل بن برجان وهو مصلوب فقال : ما حملك على السرقة ؟ قال : قضاء الله وقدره . قال : كذبت يالكع أيقضي عليك ان تسرق ثم يقضي عليك أن تصلب ؟

وروي ان ابن سيرين [2] سمع رجلا وهو يسأل عن رجل آخر فقال : ما فعل فلان ؟ فقال : هو كما شاء الله . فقال ابن سيرين : لا تقل كما شاء الله ولكن قل [هو] [3] كما يعلم الله ، ولو كان كما شاء الله كان رجلا صالحاً .

وما اشبه هذا اكثر من أن يحصى، ولو لم يكن ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله من الاثار مانعلم به بطلان مذهب القدرية والجبرية [5] الا الخبر المشهور الذي تلقته الامة بالقبول ، وهو مارواه شداد بن أوس [4] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال حين يصبح أو حين يمسي: «اللهم أنت ربي لا اله الا انت، خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت وأقر لك بالنعمة واقر على نفسي بالذنب ، فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت » .

---

١) الزيادة من أ .

٢) ابوبكر محمد بن سيرين البصرى ، كان له يد طولى في تأويل الرؤيا ، وكان ابوه عبداً لانس بن مالك ، وكان بينه وبين الحسن البصرى من المنافرة ماهومشهور، توفى سنة ١١٠ هـ (الكنى والالقاب : ٣٠٨/١) .

٣) الزيادة من أ .

٤) في أ : والمجبرة .

٥) ابويعلى شداد بن أوس بن ثابت الانصارى الخزرجى ابن أخي حسان بن ثابت الشاعر المشهور، روى عنه اهل الشام وكان كثير العبادة والورع ، توفى سنة ٤١ وقيل سنة ٥٨ وقيل سنة ٦٤ (اسد الغابة : ٣٨٧/٢) .

وقال ابن سيرين لرجل له مملوك: لا تكلفه مالا يستطيع، فان كرهته فبعه.

وقال صلى الله عليه وآله : « اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » .

وروي انه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام حين اخدمها غلاماً: « لا تكلفيه مالايطيق » .

وروي عنه صلى الله عليه وآله انه قال: «استغفروا[1] عن الشرك مااستطعتم»، وهذه الاخبار مما يستدل بها على بطلان قولهم [2] في الاستطاعة وتصحيح قولنا ان الانسان مستطيع، وان الله لايكلف عباده مالايطيقون، وانما اوردناها لتكون رسالتنا هذه غير محتاجة الى غيرها في هذا المعنى .

ومن ذلك أيضاً ما روي عن بنت رقيقة[3] قالت : بايعت رسول الله «ص» في نسوة فأخذ علينا مافي آية السرقة والزنا ان لايسرقن ولا يزنين ـ الخ ، ثم قال : فيما استطعتن وأطقتن . قالت : قلنا الله ورسوله ارحم بنا من أنفسنا .

وذكر قتاده[4] قال: بايع رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه على السمع والطاعة فيما استطاعوا .

وهذا يدل كل منصف على أن رسول الله واتباعه لم يلزموا العباد الطاعة الا فيما استطاعوا، وكيف يجوز على ارحم الراحمين واحكم الحاكمين أن يكلف عباده مالا يطيقون ، وأن يلزمهم [5] مالا يجدون .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: « أول ماتبين من ابن آدم

---

١) فى أ : فاستغفروا .
٢) فى مط : مذهبهم [قولهم] .
٣) كذا فى أ، وفى مط «بنت رفيعة» وهو وهم ، وهى اميمة بنت رقيقة واسم أبيها عبد بن بجاد بن عمير، كانت من المبايعات (اسد الغابة : ٤٠٣/٥) .
٤) ترجم له سابقاً .
٥) فى مط : وانه يلزمهم .

بطنه ، فمن استطاع ان لا يدخل بطنه الاطيباً فليفعل » .

[وقال صلى الله عليه وآله: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل» فلم يوجب عليه السلام على أحد شيئاً الا بعد الاستطاعة] [1] .

وقال صلى الله عليه وآله : من استطاع منكم أن يقي وجهه حر النار ولو بشق تمرة فليفعل . فلم يرغبهم الا فيما يستطيعون .

وروي عن ابن عباس[2] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :ألا انبئكم بأعز الناس ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال : الذي يعفو اذا قدر .

فبين أنه انما يكون العفو اذا قدر العبد واذا لم يقدر فلا يكون العفو وقد قال الله تعالى : « فاعفوا واصفحوا » [3] وقال : « فاعف عنهم واصفح » [4] وقال: «خذ العفو وامر بالعرف»[5] فعلمنا أنه كان يقدر على أن يعاقب، فأمره الله لذلك بالعفو ، ولا يجوز أن يعفو عما لا يقدر له على مضرة ولا على منفعة .

وروي عنه انه قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على امضائه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى » .

وروي [عن] [6] ابن عباس في قوله « وقد كانوا يدعون الى السجود وهم

---

١) الزيادة من أ .

٢) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، حاله في الجلالة والاخلاص لامير المؤمنين عليه السلام اشهر من أن يخفى ، دعا له النبي (ص) بالفقه والتأويل ، وكان حبر هذه الامة وترجمان القرآن، وكان عمر يقربه ويشاوره مع جملة الصحابة، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هج (الكنى والالقاب : ١/٣٣٥) .

٣) سورة البقرة : ١٠٩ .

٤) سورة المائدة : ١٣ .

٥) سورة الاعراف : ١٩٩ .

٦) الزيادة من أ .

سالمون » [1] قال : وهم مستطيعون في دار الدنيا .

وروي عنه صلى الله عليه وآله انه قال : « يسروا ولا تعسروا واسكنوا ولا تنفروا ، خير دينكم اليسر ، وبذلك آتاكم كتاب الله ، قال الله « يريد الله بكم اليسر ولا يريدبكم العسر» [2] «ويريد الله أن يخفف عنكم» [3] واعلموا رحمكم الله انه لو كان كلف خلقه [4] مالا يستطيعون [5] كان غير مريد بهم اليسر ، وغير مريد للتخفيف عنهم ، لا نهلا يكون اليسر والتخفيف في تكليف مالا يطاق » .

وروي عن سعيد بن عامر بن حذيم [6] لما استعمله عمر بن الخطاب على بعض كور الشام خرج معه يوصيه، فلما انتهى الى المكان قال لهسعيد:وانت فاتق الله وخف الله في الناس ، ولاتخف النساس في الله ، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ماتحبه [7] لنفسك واهل بيتك، وأقموجهك تعبداً لله، ولاتقض بقضائين [8] مختلفعليك امرك [9] ، وتنزع الىغير الحق ، وخض الغمرات الىالحق ، ولا تخف في الله لومة لائم. فأخذ عمر بيده فأقعده ثم قال: ويحك من يطيق هذا ؟

---

١) سورة القلم : ٤٣ .

٢) سورة البقرة : ١٨٥ .

٣) سورة النساء : ٢٨ .

٤) فى مط : خلقه [عبادة خ] .

٥) فى أ : مالا يطيقون .

٦) كذا فى مط ، وفى أ «بن حذلم» ، يقال ان سعيد هذا اسلم قبل فتح خيبر وشهد المشاهد بعدها ، وكان خيراً فاضلا ، وولاه عمر بعض أجناد الشام ، واختلف فى سنة وفاته : فقيل سنة ١٩ ، وقيل سنة ٢٠ ، وقيل سنه ٢١ (الاصابة ٦٢٤/٢) .

٧) فى مط : ماتحب .

٨) فى مط : بقضاء بين .

٩) فى مط : امره .

فانظر كيف وصاه وأمره بـأن يفعل الخير ويجتهد في تحصيله ، ومـا اشبه هـذا من الحديث اكثر مـن أن يحصى ، والحمد لله والصلاة على آل الله [1] .

---

١) فى أ : تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين .